الاحتكام للآباء

مدخل إلى علم آباء الكنيسة

Patrology



جورج فرج

باحث بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية

دكتوراة في العلوم اللاهوتية من جامعة ستراسبرج

اسم الكتاب **الإحتكام للآباء - مقدمة علم عن آباء الكنيسة – الباترولوجي**

المؤلف **د. جورج فرج إسحق فرج**

باحث بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية- بالقاهرة

بكالوريوس وماجستير في العلوم اللاهوتية من جامعة تسالونيكي باليونان، ودكتوراة في العلوم اللاهوتية من جامعة ستراسبرج بفرنسا.

الطبعة **: الأولى أكتوبر ٢٠١٥**

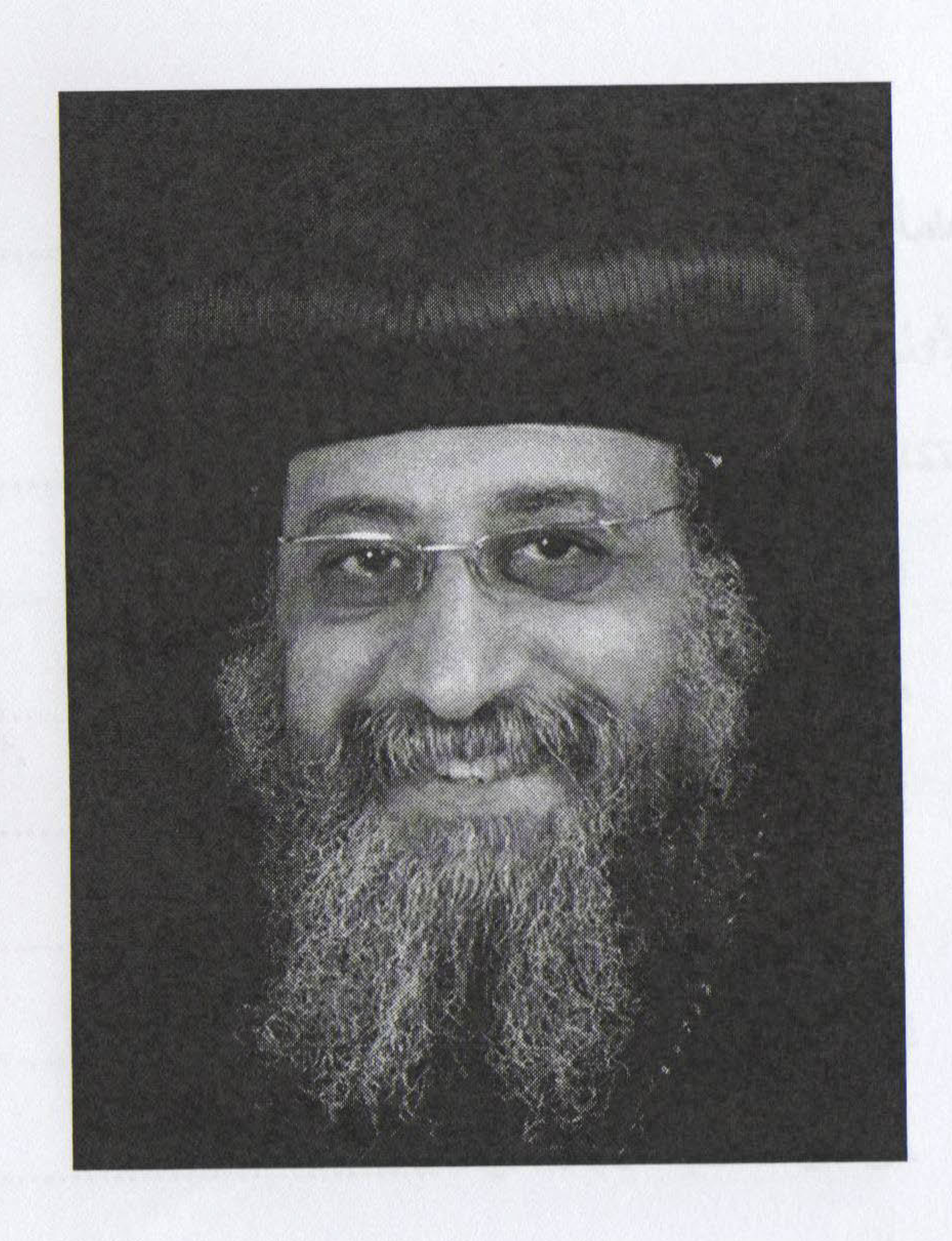
رقم الإيداع : ٢٠١٥-٢٢٦٣٩

اسم الناشر **: المؤلف**

يُطلب هذا الكتاب من

E-mail :geofaragis@yahoo.com

Tel: 02 012 710 469 23



صاحب القداسة البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

المحتويات

المحتويات

الفصل السابع - ملحق

مقدمة عامة

في هذا الكتاب نقدم مجموعة من المحاضرات التي قد ألقيناها على دارسين لكورسات متخصصة في علم الآباء، سواء لفصول إعداد الخدام أو لطلبة بعض المعاهد المتخصصة.

وفي هذه المذكرات سوف يجد القاريء العزيز مدخل مبسط لعلم الآباء، وقد قدمنا في الفصل الأول أجوبة على أهم التساؤلات التي تدور في ذهن البعض عن قيمة كتابات الآباء وسبب الاستناد إليها، وهل يمكن عمل مفاضلة بينها وبين نصوص الكتاب المقدس، ثم تحدثنا عن أهمية الإحتكام للآب كمرجعية أصيلة في الكنيسة الأرثوذكسية وليست كرد فعل لظهور الحركة البروتستانتية.

وفي الفصل الثاني تحدثنا عن سبب ظهور علم الآباء، وناقشنا مسألة الشروط الأربعة وبالأخص مسألة القدمية لتحديد الآباء التي تم صياغتها في الغرب، وموقف الكنيسة البيزنطية منها، وفي النهاية قدمنا رؤيتنا عن مسألة تحديد الآباء في كنيستنا القبطية.

أما في الفصل الثالث فقد تعرضنا لمسألة تحقيق كتب الآباء، وظاهرة الكتابات مجهولة الكاتب، وكذلك الكتابات ذات الأسماء المستعارة أو المزيفة وسبب هذه الظاهرة.كما قمنا بعرض سريع لتصنيف كتابات الأباء مع عرض موجز لكتابات الآباء الرسوليين والآباء المدافعين والسمات العامة لتلك الكتابات.

المقدمة

وفي الفصل الرابع تعرضنا لمدارس التفسير الرئيسية، الإسكندرية وأنطاكية بالإضافة للمدرسة الغربية، وقدمنا دارسة عن أحد أعمال القديس يوحنا ذهبي الفم كنموذج لمدرسة أنطاكية.

في الفصل الخامس، قمنا بتقديم عرض تفصيلي لسيرة وأعمال وتعاليم العلامة ترتليان رائد الأدب المسيحي اللاتيني كنموذج لصورة التي ينبغي عليها عمل أي دراسة عن أي من آباء الكنيسة وفي الفصل السادس قدمنا مقالتين أحدهما عن سيرة القديس أنطونيوس ما بين التراث القبطي والتراث اليوناني حتي يتعرف الدارس عن مضمون وهدف علم سير القديسين "الأجيولوجيا" وفي مقال أخر قدمنا أهم موضوع شغل بال الآباء النُساك وهو موضوع قبول الروح القدس عند هؤلاء الآباء.

أما في الفصل الأخير فقد أضفنا ملحق عن موضوع شرح عقيدة الثالوث كنموذج لفهم كيف صاغ الآباء العقيدة المسيحية، في صورة سؤال وجواب نرد فيه على أهم التساؤلات المثارة حول الموضوع وذلك لأهمية واحتياج الكثيرين لشرح مبسط له في ضوء تعاليم آباء الكنيسة.

وفي النهاية نشكر الله الذي أعنا على عمل هذا الكتاب، بشفاعات السيدة العذراء مريم والدة الإله ومصاف الملائكة والأبرار، وصلوات صاحب القداسة البابا تواضروس الثاني وسائر الآباء الاساقفة والكهنة والخدام وكل الشعب المحب للمسيح. ولإلهنا المحب الآب والابن والروح القدس، المجد الدائم إلى الأبد آمين.

جورج فرج

القاهرة، أكتوبر ٢٠١٥

الفصل الأول

الاحتكام للآباء

أهمية كتابات آباء الكنيسة

ترجع أهمية كتابات الآباء في أنها تقدم تراثًا أصيلاً وأمينًا للإيمان المسلم مرة للقديسين، ولذلك فهي **المرجعية التي نحتكم إليها**، فمن المعلوم أنه عند حدوث اختصام بين شخصين أو جماعتين يكون الاحتكام لطرف ثالث هو الحكم فيما بينهم، هذا الحكم ينبغي أن يتميز بصفات خاصة تميزه عن المختصمين الملتجئين إليه وتجعله متفوقًا عليهما فيصير حكمًا بينهما، هذا الحكم الذي نقصده هو آباء الكنيسة وتعاليمهم التي ينبغي أن نلجأ إليها للفصل فيما يدور بيننا من اشكاليات. ولذلك فأهمية كتابات الآباء تعود إلى كونها الوسيلة التي تعرفنا فكر الآباء وإيمانهم، فهي الميراث الذي لا يموت الذي تركوه لنا بعد انتقالهم من الحياة الحاضرة ومن ثم صارت كتابتهم هذه ذات أهمية قصوى لأنها تعرفنا على شخصية الآباء أنفسهم، ويجب أن نشدد على أن هناك فارق بين أن تقرأ عن شخص وأن تقرأ لهذا الشخص نفسه. فمن خلال كتابات الآباء يمكننا أن نتلامس مع أفكارهم واهتماماتهم وبيئتهم وسلوكهم الخ...

ويمكن تلخيص أهمية كتابات الآباء في الآتي

١- قدم آباء الكنيسة **شروحات أرثوذكسية للكتاب المقدس**.

٢- صاغ الآباء في كتاباتهم **العقيدة الأرثوذكسية** بشكل دقيق وواضح.

٣- قدم الآباء كتابات تحوي على خبراتهم الروحية العميقة فيما يعرف **بالأدب النسكي**.

٤- شرَّع الآباء كل ما يخص تنظيم الكنيسة في **قوانين كنسية** سواء التي تخص الحياة الرهبنية أو ما يخص كافة المؤمنين بشكل عام.

٥- قدم الآباء **نصوص الصلوات الليتورجيا** العميقة التي تحوي خبراتهم الروحية وعقيدة الكنيسة الأرثوذكسية.

مرجعيتنا للآباء أم للإنجيل؟

يثار التساؤل: لماذا لا نلجأ للإنجيل بدل الآباء؟ هل الآباء معصومون من الخطأ أم الإنجيل؟ لماذا أحتكم لمنتج بشري وأترك المنتج الرباني؟

هنا يحدث الخطأ عند عقد مقارنة بين شيئين ليسا من نفس النوعية، **فالآباء لم يقدموا إنجيلاً مغايرًا لإنجيل المسيح حتي نضطر للمفاضلة بينهما فيمن نتبع**، بل أن الآباء هم الذين أناروا لنا البشارة في ضوء تفسيرهم للإنجيل.

علاقة الكتاب المقدس بالكنيسة

إن المفاضلة بين الكتاب المقدس وبين تعاليم الآباء وتقليد الكنيسة، ينتج في الأساس من فهم خاطئ لطبيعة العلاقة بين الكنيسة والكتاب،

والمفهوم الخاطئ للوحي الإلهي جعل البعض يتخيل أن الكنيسة هي صنيعة الكتاب المقدس وهذا خطأ، فالكتاب المقدس هو وليد الكنيسة الذي قامت بإنتاجه وليس العكس، فالكنيسة ممثلة في رجالاتها القديسين من أنبياء ورسل وإنجيليين هم الذين قدموا لنا الكتاب المقدس الذي تَكوَّن في حضن الكنيسة، **فالآباء هم الذين حددوا أسفار الكتاب ووضعوا قانونه وبينوا لنا أسماء كُتَّابه، وقاموا بشرحه .**

ويجب الأخذ في الاعتبار بأن الإنجيل ليس مجرد كتاب، فالمسيح حث الناس أن يؤمنوا بالإنجيل على الرغم من أنه لم يكن موجودًا في صورة كتاب، فالبشائر الأربعة هي أحد إسهامات الآباء الرسل في الكرازة بالإنجيل ولكنها ليست أبدًا الإسهام الوحيد لهم، ومن ثم فإن الإنجيل كبشارة وُجِد قبل الإنجيل كنص مكتوب، وكلاهما قُدِما بواسطة الكنيسة التي أسسها الرب على أساس كرازته الشفوية ومن بعده الآباء الرسل ثم بعد ذلك ظهرت الحاجة للإنجيل المكتوب. وهنا تجدر الإشارة لقول القديس أثناسيوس في رسالته للقديس سرابيون الأسقف:

"دعونا ننظر إلى تقليد الكنيسة الجامعة وتعليمها، وإيمانها ، الذي هو من البداية والذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء، وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة، ومن يسقط منه (أي من تقليد الكنيسة) فلن يكون مسيحيًا ولا ينبغي أن يدعى كذلك فيما بعد."[1]

[1] الروح القدس للقديس أثناسيوس ، ترجمة: د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد ، مركز دراسات الآباء القاهرة، طبعة ثالثة - مارس ٢٠١٠، الرسالة الأولي، فقرة ٢٨، ص ٨٠.

فوديعة الإيمان ممثلة في تقليد الكنيسة قد سُلِمت لنا - بحسب فكر القديس أثناسيوس - من خلال:

١- **تسليم الرب ذاته.** أي أن الرب نفسه هو مصدر وأصل الإيمان.

٢- **كرازة الآباء الرسل.** أي بشارة الآباء الرسل بما تسلموه من الرب.

٣- **حفاظ الآباء على وديعة الإيمان هذه،** التي تسلموها من كرازة الرسل التي مصدرها الرب ذاته.

هل كتب الآباء بوحي؟

بكل تأكيد لا، فالآباء لم يكتبوا بالوحي الذي كان مع كتبت الأسفار المقدسة، ولكنهم كتبوا باستنارة من نفس الروح القدس حتي يوضحوا لنا كلمة الوحي المقدس، ومن ثم فإن إيمان الكنيسة بالفعل الدائم للروح القدس في الكنيسة يتحقق من خلال آباء الكنيسة وما قدموه من كتابات باستنارة الروح القدس.

وهل تعاليم الآباء معصومة؟

تعاليم أي أب من الآباء ليس معصومًا من الخطأ مثل تعاليم الكتاب المقدس، ومن ثم فنحن غير ملتزمون بتعاليم خاصة لآب معين من الآباء مهما علا شأنه، فللآباء أخطاء بلا شك إنما نتبع إيمان الكنيسة الذي صاغه **إجماع الآباء.**

في أي شيء نتبع الآباء؟

نحن ملتزمون بإجماع الآباء فيما يخص إيمان الكنيسة وعقيدتها ومن هذا نستنتج شرطين وهما :-

١- الإجماع وليس الرأي الفردي لأي أب.

٢- أن يكون الأمر متعلق بعقيدة الكنيسة وإيمانها وليس أي أمر تحدث فيه الآباء.

فآباء الكنيسة قد تطرقوا لموضوعات تخص زمنهم وعصرهم، وآرائهم في تلك الأمور ليست معصومة ولا ملزمة لنا.

إن كان الأمر كذلك، فما هو المعيار الذي نحدد به ما يجب أن نلتزم به من تعاليم الآباء؟

هنا يجب التفريق بين ما هو خاص وما هو عام ما بين ما هو ثابت وما هو متغير، فتوجد أمور تخص البيئة أو العصر الخاص بالأب فتجد أحد الآباء يتحدث عن مشكلة خاصة بعصره، أو أمر متعلق بالأمور العلمية الشائعة في زمانه، كمسألة طبية كانت محل جدل الخ، كل هذه الأمور لا تهمنا. وفي أحيان أخرى يتطرق الأب إلى رأي خاص في قضية تفسيرية وليست عقيدة.

مثال : قدمية إنجيل مرقس بين رأي الآباء الأوليين والعلماء المعاصرين.

فعلى سبيل المثال، معظم الدارسين الأرثوذكس الآن يروا أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل علي الرغم من وجهة النظر القديمة كانت عكس ذلك، فمنذ القديم حتى مطلع القرن التاسع عشر كان

الاعتقاد السائد هو أن إنجيل مرقس هو آخر الآناجيل الثلاثة المتشابهة (متى - مرقس - لوقا) علي أساس كونه يقدم ملخص للإنجيلين الآخرين، لذلك فإن معظم الآباء المفسرين لم يهتموا بتقديم تفسير خاص به بل اكتفوا بتفسير الأسفار الثلاثة الأخرى، مما دفع شخص اسمه فيكتور الأنطاكي في نهاية القرن الخامس بعمل تفسير لهذا الإنجيل عن طريق تجميع تعليقات الآباء والمعلمين مثل أوريجانوس وكيرلس وذهبي الفم وغيرهم، من تفاسيرهم للأناجيل الثلاثة الأخرى. ولكننا نجد أن وجهة نظر الآباء في مسألة زمن إنجيل مرقس نقدها عالم ألماني اسمه Luchmman في عام ١٨٣٥[٢] عندما قدم بحث علمي خرج به بنظرية جديدة يرجح فيه قدمية إنجيل مرقس عن الأناجيل الأخرى، هنا المسألة لا علاقة بعقيدة الكنيسة وإيمانها فالأمر متعلق بالمتغيرات وليس الثوابت.

مثال أخر: رأي البابا ديونيسيوس الإسكندري في شخصية كاتب سفر الرؤيا

يعتبر رأي البابا ديونيسيوس عن سفر الرؤيا مثل جيد لتوضيح الفرق بين الرأي الخاص وبين إجماع الكنيسة المسلم بالتقليد : فالبابا الإسكندري واجه أفراد يعتقدون بالملك الألفي الأرضي للمسيح اعتمادًا على تفسير خاطئ لسفر الرؤيا، فنجد القديس يبدأ حديثه بالتشديد على أن هذا السفر هو من الأسفار القانونية الموحى بها

---

[٢] للمزيد أنظر: جورج فرج، *المدخل إلى تفسير العهد الجديد*، القاهرة ٢٠١٤ ص ١٠٩- ١١٩.

والمسلمة من آباء الكنيسة، ومع ذلك فإن البابا ديونيسيوس يقدم وجهة نظره الخاصة في أن كاتب السفر ليس هو القديس يوحنا الحبيب بل شخص أخر يدعى يوحنا، ولكن البابا يشدد على أنه كاتب موحى إليه من الروح القدس، هنا يمكننا أن نميز بين ما هو تسليم الكنيسة الذي يجب حفظه وهو قانونية السفر وبين ما هو وجهة نظر خاصة لا تتعلق بإيمان الكنيسة وهو شخصية الكاتب إن كان يوحنا الحبيب أم يوحنا أخر.

هل كل ما كتبه الآباء مفيد؟

بكل تأكيد لا، فنجد أن بعض كتابات الآباء تكشف لنا أن الآباء تعرضوا لأمور في زمانهم ليس لها قيمة في حاضرنا مثل المسائل الطبية التي كانت مثارة في زمانهم أو موضوع متعلق بعلوم الطبيعة إلخ، فالأمر هنا لا يهم قارئ القرن الواحد والعشرين. فعلى سبيل المثال فقرات من كتاب المربي للعلامة كليمندس تتعرض لأمور طبية تخص زمانه ليس لها قيمة في حاضرنا ، أيضا نجد أثناسيوس في كتابه ضد اليونانيين (الوثنيين) يتحدث عن أصل الأشياء من أربع مواد (الهواء والماء والنار والتراب) وبالمثل الحديث عن "طائر الفونكس" عند كليمندس الروماني وكذا عند أثناسيوس في تجسد الكلمة الخ

لذلك فقارئ الآباء عليه أن يميز بين الغث والسمين، وعليه أن يدرك الخلفية الحضارية للكاتب وهي أمور عدم استيعابها ربما يسبب عقبة كبرى في فهم ما يقصده الأب.

الاحتكام للآباء كمنهجية أصيلة للكنيسة وليس كرد فعل لتيارات فكرية معاكسة.

مع ظهور الحركة البروتستانتية وما تلاها بدأ النظر للرجوع للتقليد الكنسي كعائق للحقيقة الإيمانية الظاهرة في الأسفار المقدسة، وليس وسيلة لا بد منها لتفسير الإعلان الإلهي المكتوب في الأسفار المقدسة. وظهر فكر مارتن لوثر الذي ينادي قائلاً: فقط الكتاب المقدس، فقط النعمة، فقط الإيمان، ومن ثم لم يعد الاحتكام للآباء أمرًا ذا أهمية، هنا نجد أننا أمام اشكالية جديدة وهي خطأ في المنهجية، فبعد تقسيم تقليد الكنيسة قسمين هما الكتاب مقدس وتعاليم الآباء أصبحت هناك اشكالية المفاضلة بينهما وهو الأمر الذي لم يكن مطروحًا من قبل لا من قِبل الآباء ولا حتي من الهراطقة.

فالاحتكام للآباء ليس أمر من اختراع الكنيسة المعاصرة كرد فعل للتيارات الفكرية الرافضة لتقليد الكنيسة والتسليم الرسولي، بل هي منهجية كانت متبعة في الكنيسة منذ تأسيسها فنجد القديس بولس الرسول يدعو تلميذه تيموثاوس أن يحفظ ((الوديعة)) [٣] أي وديعة الإيمان وكذلك يقول: "**وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاسًا أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا.**" [٤]

هنا يظهر دور الكنيسة في حفظ هذه الوديعة، وكما يؤكد القديس أثناسيوس عن تقليد الكنيسة "**حفظه الآباء**" ومن هذا المنطلق نرى أن

---

[٣] ١تي ٦: ٢٠، ١تي ١: ١٤
[٤] ٢تي ٢: ٢

الآبـاء فـي المجامع المسـكونية لـم يقـدموا أنفسـهم كشـراح للعقيـدة أو الكتاب بل فقط كحافظين لوديعة الإيمان دون أي زيادة أو نقصان.

الآباء كشهود وليس كمفسرين لعقيدة الكنيسة.

فالآبـاء كـان *هَمَهُـم* دائمًـا أن يظهـروا كحـراس علـى الإيمـان ولـيس مفسـرين للكتـاب فيمـا يتعلـق بعقيـد الكنيسـة التـي صـاغوها فـي المجامع المسـكونية وفـي هـذا الشـأن يقـول العـالم هنـري برسـيفال عـن أعمـال مجمع نيقية وقانون إيمانه تحديدًا.

"أن الآبـاء لم يكـن يهمهـم أن يقـدموا للنـاس مـا يجـول بخاطـرهم مـن تفسـير للكتـاب المقـدس او مـا يفترضـون أنـه يعـني أو مـا يخيـل لهـم - وهـم في سـبيل حـوارهم ومـذكراتهم - أن هـذا مـا أراد الله أن يعلنـه للنـاس، بـل كـانوا ينشـدون دومًـا شـيئًا لا يمـت إلى هـذا كلـه بصلـة. كـان همهـم الـدائم التفتـيش عـن أمـر واحـد لا غـير وهـو مـا الـذي تسـلموه؟ وادركـوا أن وظيفـتهم في أن يكونـوا شـهودًا لا مفسـرين، ولم يعترفـوا إلا بواجـب واحـد ملقـى علـى عـواتقهم وهـو أن يسـلموا للمـؤمنين مـا تسـلمته الكنيسـة بـأمر الـرب. فـأول وأهـم مـا يطلـب مـنهم إذن، هـو أن يكـون صـادقين مخلصـين لا أن يكونـوا مـن أهـل الحـذق والعلـم. والقضـية الـتي دعـوا لإعطـاء جـوابهم بشـأنها لا يفيـد أن يكـون الجـواب عنهـا بـالقول: هـذا مـا أظـن، أو مـا يحتمـل أن يكـون أو مـا أظـن أن مـا ورد في الكتـاب المقـدس يثبتـه، بـل هـذا مـا تعلمتـه ومـا اؤتمنـت عليـه لأسلمه للآخرين."[٥]

---

[٥] كتـاب *"مجمـوع الشـرع الكنسـي أو قـوانين الكنيسـة المسـيحية الجامعـة"* جمـع وترتيب وتنسيق الأرشمندريت حنانيا الياس كساب، منشورات النور ١٩٩٨، ص ٤٠.

الآباء يحتكمون للآباء

ونحب أن نقدم أمثلة للآباء قاموا بالاستشهاد بالآباء السابقين عليهم وذلك في مواجهتهم للهراطقة:

١- القديس أثناسيوس

في دفاعه عن قانون مجمع نيقية يلجأ للآباء السابقين ويقدم اقتباسات من ٦ اسماء شهيرة لآباء ومعلمين سابقين هم: ثيؤغنسطُس، دِيونيسيوس السكندري، ديونيسيوس الروماني، أوريجانوس، ليؤكد ان صياغة مجمع نيقية لتعبير هموؤسيوس ὁμοούσιος ليست من ابتكار المجمع

في نهاية اقتباسات يقول :

"ها نحن نُثبت أنَّ هذا الفِكْر قد سُلِم من أب إلى أب . أمَّا أنتم أيها اليهود الجُدُد وتلاميذ قِيافا ، كم عدد الآباء الذينَ يُمكن أن تنسِبوهم لِتعبيراتِكُم ؟ ليس حتى واحِد ذو فهم وحِكمة ، لأنَّ الجميع يمقتونكم ، إلاَّ الشيطان وحده ، فليس أحد غيره أبوكم في هذا الإرتداد ، الذي في البداية بَذر فيكم بذار هذا المروق ، والذي يقنعكم الآن أيضاً أن تفتروا على المجمع المسكوني ، لأنه (أي المجمع) كتب – ليس عقائِدكم – بل تلكَ العقائد التي سلمها إلينا من البداية هؤلاء الذين كانوا شهود عيان وخُدَّام للكلِمة . لأنَّ الإيمان الذي اعترف بهِ المجمع كِتابةً هو إيمان الكنيسة الجامِعة ، ولكي يُؤكِد الآباء ذلك عبَّروا عن أنفسهم هكذا وهم يدينون البدعة الآريوسية . وهذا سبب رئيسي وراء إفترائِهِمْ على المجمع وثلبهم

له . إذ ليست التعبيرات هي التي تزعجهم بل كون هذه التعبيرات تثبت أنهم هراطقة ووقحين أكثر من الهرطقات الأخرى"[6]

٢- القديس كيرلس الكبير

القديس كيرلس في صراعه مع نسطور يقدم كثير من الاستشهادات من الآباء لدفاع عن عقيدة الكنيسة وتعبيراتها التي تسلمها من الآباء

"فلتقتنع قداستكم، ولا تدع أحداً من الآخرين، يشك في أننا نتبع تعاليم الآباء القديسين من كل وجه، وخاصة أبينا المبارك والمجيد جداً اثناسيوس، طالبين باجتهاد أن لا نبتعد عنه في أي شيء على الإطلاق. وكنت أود أن أضيف أيضاً اقتباسات كثيرة من الآباء لأعطي ثقة في كلماتي الخاصة من كلماتهم لولا أن خفت أن تؤدي هذه (الاقتباسات) إلى أن تطول رسالتي وتصير بذلك مملة. ونحن لا نسمح بأي صورة من الصور لأي شخص أن يهز الايمان المحدد، أي قانون الايمان المحدد بواسطة الآباء القديسين الذين اجتمعوا في نيقيا في الأزمنة الحرجة. وبكل تأكيد أيضاً، اننا لا نسمح سواء لأنفسنا أو لآخرين أن تتغير كلمة فيه أو أن يحذف منه مقطع واحد، متذكرين الذي قال: "لا تنقل التخم القديم الذي وضعه آباؤك"[7]

"ولكن حيث اننا علمنا أن البعض قد نشروا نصا مشوها لرسالة أبينا المجيد جداً اثناسيوس إلى المبارك ابكتيتوس، وهي رسالة

---

[6] القديس أثناسيوس الرسولي "الدفاع عن قانون مجمع نيقية"، ترجمة القمص أثناسيوس فهمي جورج، الفصل السادس.

[7] القديس كيرلس الكبير "رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي"، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، نصوص ٦٥، طبعة ثانية، ٢٠٠١، ص ٣٢.

ارثوذكسية، حتى أن الكثير اصابهم الضرر (بسبب هذا التشويه). ولهذا السبب رأيت انه من النافع والضروري للأخوة أن ارسل لقداستكم نسخاً منها منقولة من النسخة القديمة الموجودة عندنا والتي هي نسخة أصيلة."[٨]

"ماذا سوف نفعل نحن في كنيسة المستقيمي الرأي، حيث أننا قد صرنا محرومين مع الآباء القديسين، لأني أجد الأسقف المطوب الذكر أثناسيوس، كثيراً جداً في كتاباته يسمى العذراء والدة الإله. وأبينا المبارك ثيوفيلوس وأساقفة آخرون كثيرون من القديسين فعلوا هذا أيضاً في أيامهم: باسيليوس وغريغوريوس والمبارك أتيكوس نفسه. وليس أحد من الأساقفة المستقيمي الرأي كان يخاف أن يدعو العذراء والدة الإله، إن كان من الحق أن عمانوئيل هو الله. إن الآباء القديسين الذين هم عند الله وكل من يتبعون تعاليم الحق المستقيمة، والذين يعترفون أن المسيح هو الله، قد صاروا محرومين."[٩]

الآباء يحتكمون للكتاب

هنا يجب التشديد علي ان الآباء كان دائما يدعموا افكارهم من الكتاب ثم من كتابات الآباء السابقين، واستشهاداتهم تؤكد انهم لم يميزوا بين، الكتاب وإيمان الكنيسة وتعاليم الآباء القديسين فهي ثلاث مترادفات لمعني واحد.

فنجد البابا الكسندروس في رسالة له الي جميع الاساقفة ضد اريوس عام ٣١٩م يقول بعد ان أورد اسماء الاكليروس الذي يتبع

---

[٨] نفس المرجع

[٩] نفس المرجع.

ضلال اريوس "**هذا ما علموه ضد الكتاب المقدس**" بينما نجد اريوس يبعث برسالة لقسطنطين ليوهمه بعكس ذلك مؤكد ان تعاليمه من الانجيل.

المهم عندنا هو فكرة وحدة التقليد بين الكتاب المقدس وكتابات الآباء فلم يتجزأ الكتاب عن تقليد الكنيسة إلى قسمين حتي نفاضل بينهم فيقول القديس كيرلس:

"فيما يخص العذراء والدة الإله كما نعتقد ونقول، وفيما يخص كيفية تأنس ابن الله الوحيد، من الضروري أن نتكلم بكلمات قليلة - بدون إضافة شيء - بل في ملء اليقين، كما قد استلمنا الإيمان منذ البداية من الكتب المقدسة ومن تسليم (تقليد) الآباء القديسين، ودون أن نضيف شيئاً بالمرة على إيمان الآباء القديسين الموضوع في نيقيا. وكما سبق وقلنا فإن الإيمان الموضوع في نيقيا هو كافٍ لكل معرفة التقوى وللكرازة العلنية ضد كل تعليم هرطوقي ردئ السمعة.". ويقول أيضا: "- هذه هي تسليمات (تقاليد) الآباء القديسين، هذه هي تعاليم الكتب المقدسة."

هذا ونحب أن نؤكد بأن فكرة تسليم الإيمان من أب إلى أب، فما يخص العقيدة كمسلمات بحيث لا تقبل الزيادة أو النقصان أو الآراء الشخصية، لا تتعارض مع أن يكون للأب إسهامه الخاص به. فلكل أب موهبته في شرح الإيمان المسيحي بطريقته وأسلوبه ومنهجيته الخاصة، وله توجهاته في تفسير الكتاب المقدس وهذا ما يعرف **بالأصالة** πρωτοτυπία, originality كما سوف نتحدث لاحقاً.

الهراطقة أيضا يحتكمون للآباء

كما لجاء الهراطقة للكتاب حتي يدعموا آرائهم فانهم لجئوا للآباء أيضا، فالطريف هو أن الهراطقة كانوا يحاول أن يوهموا الناس بأنهم يتبعون الآباء وان تعاليمهم هو من الآباء فنجد أريوس في رسالة له يصر علي أن ما يُعلِم ما قد عَلَم به الأسبقون.

الفصل الثاني

علم الآباء

اشكاليات وصعوبات فيما يخص كتابات الآباء

كتابات الآباء هي كتابات قديمة بها كثيرة من اشكاليات الحضارة والثقافة واللغة التي نبعت منها هذه الكتابات.

مشكلة اللغة: فالآباء الشرقيون قد كتبوا باللغة اليونانية وبها قد كتب معظم تراثهم بخلاف بعض اللغات الشرقية الأخرى مثل السريانية والقبطية والارمينية وغيرها من اللغات أما في الغرب فكتب الآباء باللغة اللاتينية. وهذه اللغات هي لغات ميتة وغير مستخدمة في الحياة اليومية وبالتالي فإننا أمام اشكالية نقل هذه الكتابات إلي اللغات الحية التي نتكلمها.

مشكلة الحضارة والثقافة: فعند قرأت كتابات الآباء يصطدم القارئ بثقافة مغايرة تمامًا فتجد الآباء مثلا يتحدثون عن نظم العبودية المختلفة ويستوحي بعض امثلتهم وتشبيهاتها من واقع الألعاب الاولمبية وحلبات المصارعة الخ.

مشكلة نوعية الأدب التي قدموا فيها كتابتهم شعر، حوار ، سؤال وجواب، سيرة قديس، اقوال نسكية مأثورة الخ

وأهم هذه الاشكاليات هي تحقيق كتابات الآباء ذاتها أي التحقق من أصالة النص والتحقق من صحة نسب الكتاب للآب المعلم، وعمل تحقيق لنص من واقع المخطوطات المختلفة لنفس النص

هنا تكون الحاجة ملحة وضرورية من ظهور علم اكاديمي يتبني تحقيق كتابات الآباء وتقديمها في لغة معاصرة وفي دراسات مناسب للقارئ غير المتخصص مستخدما كل فروع العلوم الأخري لذلك ومن هنا ظهر علم الآباء المسمى بعلم الباترولوجي Patrology.

تأسيس علم الآباء

اسهم الغرب في تأسيس علم البترولوجي في شكله الحالي علي الرغم من أن بذوره بكل تأكيد كانت موجودة بواسطة بعض الكُتَّاب الكنسيين مثل **يوسابيوس القيصري** المؤرخ عندما أسهم في ذكر مؤلفات مشاهير الآباء وبعض تعاليمهم وذلك في تاريخه الكنسي وكذلك **القديس جيروم** (يرونيموس) وذلك في كتابه "مشاهير الرجال".

وأول شخص نحت تعبير علم الآباء كان العالم اللوثري يوحنا جرهارد (١٦٣٧) عندما قام بتأليف كتاب وضع له عنوان باللاتينية "Patrologie" وهي كلمة أصلها يوناني πατρολογία وتعني علم الآباء أو الحديث عن الآباء.

من هم الآباء؟ (تحديد أو تعريف الأب)

تحديد الآباء في الغرب

استقر علماء الغرب منذ بداية القرن العشرين علي تحديد الآباء في من توافرت فيهم عدة شروط وكان ذلك بواسطة أكثر من عالم متزامنين

ففي عام ١٨٥٠ وضع J. Fessier[10] ثلاث شروط هي **ارثوذكسية العقيدة والقداسة و القدمية** ولم يحدد القدمية بل وصل بها الى توما الاكويني في القرن الثالث عشر ولم يهتم بمسألة الكهنوت سواء أسقف أو قس كشرط لتحديد الأب.

بعد ذلك في القرن العشرين قدم Otto Bardenhewer[11] في عام ١٩١٣ اسهامه بوضع **أربع شروط صارت هي الأساس الذي اتبعه معظم علماء الآباء الغربيين وهي:**

١) أرثوذكسية العقيدة doctrina orthodoxa

٢) قداسة السيرة sanctitas vitae

٣) تصديق الكنيسة (القبول الكنسي) approbatio Ecclesiae.

٤) القدمية antiquitas

فأرثوذكسية العقيدة هي أن يكون الأب أرثوذكسيًا في عقيدته ولم يتبع أي جماعة هرطوقية، أي أنها تعني سلامة وصحة التعليم، أما تصديق الكنيسة المقصود به هو اعتماد الكنيسة لتعليم هذا الأب

---

[10] J. Fessier (1850), *Institutiones Patrologías,* Innsbruck.. I, P. 22-26

[11] Otto Bardenhewer, *Geschichte der altkirchlichen Literatur,* vol ., I , 1932. p 45.

موافقتها عليه والكلمة اللاتينية approbatio تعني approval أي موافقة الكنيسة لتعليمه وهذا القبول يحدث بقرار مجمعي في الكنيسة الكاثوليكية باعتماد اسم أب معين بأنه من الآباء المعلمين.

أما بالنسبة للقدمية فإننا نلاحظ أن تحديدها في زمن محدد أمر قد اختلف عليه كثيرًا، فيري البعض إن القدمية في الشرق حتى يوحنا الدمشقي (٧٦٤م) بينما وفي الغرب حتي غريغوريوس الكبير (٦٠٤م).

تحديد الآباء في الكنيسة البيزنطية

في الكنيسة البيزنطية (اليونانية) رفضت مسألة القدمية حيث نجد أن الكنيسة اليونانية بها كثير من الكتاب الكنسيين الذين كتبوا في عصور متأخرة كتابات هامة ولهم أسماء مشهورة لا يمكن تجاهلهم مثل البطريرك فوتيوس وغريغوريوس بالاماس وغيرهم، لذلك أعتبر اللاهوتيون اليونانيون مسألة القدمية أمر لا يتماشى مع إيمان الكنيسة بفعل الروح القدس في الكنيسة في كل زمان.

لذلك قبل اللاهوتيون البيزنطيون فقط مسألة قبول الكنيسة للأب، وقد عرف العَالِم بنايوتيس خريستوس في موسوعته عن "البترولوجيا اليونانية"[12] الأب **بأنه كل كاتب قديس يتردد ذكر اسمه بصيت حسن في كتابات الكتاب الكنسيين في الأجيال اللاحقة عليه، من ثم يأخذ لقب "أب معلم"، وكل شخص يملك نفس الميزة ويزيد**

---

[12] Παναγιώτη Κ. Χρίστου *ΕΛΛΗΝΙΚΗ ΠΑΤΡΟΛΟΓΙΑ* τόμος Ά εισαγωγή τρίτη έκδοσις Θεσσαλονικη 2004. σ

عليها أنه قد ذكر اسمه في محاضر الجلسات للمجامع الكنسية المهمة يمنح لقب "أب ومعلم مسكوني"، هنا وقد أكد علي أن رفض القدمية كشرط لقبول الأب لا يعني إهمالها أو أنها بلا قيمة، فللآباء القدامة مكانتهم الخاصة ولكن قصر الآباء عليهم أمر غير سليم.

تحديد الآباء في كنيستنا القبطية

الآباء في الليتورجيا القبطية – تحليل الخدام

أما لو نظرنا لكنيستنا القبطية فنجد أنها تتميز بسرد قائمة من الآباء المعلمين في ليتورجيتها علي عكس الكنيسة البيزنطية التي لا يرد فيها أي قائمة مثل هذه، وهذه القائمة للآباء المعلمين موجودة في **تحليل الخدام** وهي للآباء القديسين الذين صاغوا العقيدة المسيحية في أوقات النزاعات اللاهوتية، ويجب التميز بين هذه القائمة من الآباء وبين غيرها من قوائم للقديسين الذين يذكروا في مجمع القداس أو مجمع التسبحة ممن نطلب شفاعاتهم وطلباتهم وليسوا بالضرورة من الآباء المعلمين. وهؤلاء الآباء المذكورين في تحليل الخدام هم:

"ساويروس الأنطاكي - ديسقوروس- أثناسيوس - بطرس خاتم الشهداء - يوحنا ذهبي الفم - كيرلس الإسكندري - باسيليوس - غريغوريوس الثيئولوغوس."[١٣]

نلاحظ أنهم ثمانية من الآباء، والسؤال المطروح هو: هل هؤلاء الآباء يمكن إعتبرهم بشكل حصري الآباء المعلمين الكبار؟ أم

---

[١٣] نلاحظ أن في الكنيسة السريانية توجد قائمة موازية للآباء المعلمين تذكر في الليتورجيا ويسموا بالآباء الملافنة وهم الآباء المعلمون.

أن هذه القائمة تقدم لنا مجرد أمثلة ونماذج للآباء المعلمين، وقد تم اختيارهم على أساس أن هؤلاء كانزا أشهر الرجال الذين دافعوا عن الإيمان في أوقات المحنة؟ في رأينا الشخصي فإننا نميل إلي وجهة النظر الثانية، حيث لا يمكننا حصر الآباء في ثمانية أفراد فقط، فنلاحظ أن القائمة تخلو علي سبيل المثال من أسماء شهيرة ومهمة مثل الآباء الرسوليين مثلاً كالقديس أغناطيوس الأنطاكي والقديس بوليكاربوس، وغيرهم من الآباء الكبار.

الشروط الأربعة نظرة نقدية :صفات وليست شروط

تبني الكُتّاب الأقباط المعاصرين الشروط الأربعة التي وضعت في الغرب في الكنيسة الكاثوليكية لتعريف الأب المعلم، وكان هناك بعض التحفظ على شرط القدمية[١٤] غير أنه في المجمل العام صارت الشروط الأربعة معتمدة من قبل الكُتّاب الأقباط.

أما بحسب وجهة نظرنا نحن، فنرى أن وضع شروط لتحديد الآب المعلم لا يتفق مع طبيعة الكنيسة حيث أن الواقع العملي يؤكد أننا نعرف الأب فلماذا نضع شروط لتحديده. وفي نفس الوقت فإنه من غير المقبول الاعتراض على تلك المبادئ التي أرسيت في الغرب فقط

---

[١٤] أنظر القمص تادرس يعقوب ملطي *"المدخل إلى علم الباترولوجي، ١- بدء الأدب المسيحي الآبائي - الآباء الرسوليون"* الناشر كنيسة مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء، ص ١٤و١٥. حيث يُلمح عن اعتراض بعض الكُتّاب (يقصد الاسقف كاليستوس وير هو ينتمي للكنيسة البيزنطية) علي شرط القدمية.

Timothy Ware, *The Orthodoxy Church*, Maryland, 1969, p. 212.

لكونها قد نشأت خارج كنيستنا الأرثوذكسية، وعلى أساسه - وبحسب وجهة نظرنا- **فإننا نعتقد أن تلك الشروط يمكن قبولها ليس على أساس كونها معايير وشروط حصرية وملزمة لنا لتحديد الأب المعلم، بل أن ننظر إليها على أساس كونها صفات يتميز بها الأب وليست شروط ملزمة، وهنا يكون صفة مثل القدمية ليست شرطًا بل ميزة يتمتع بها بعض الآباء القدامة** وبالأخص الآباء المسكونيين أي آباء ما قبل الانشقاق والذي يعتبر تعاليمهم مقبولاً في كل المسكونة، ولكن عدم توافر هذه الميزة في آباء الأجيال اللاحقة، لا يمنعنا في اعتبارهم من أباء الكنيسة المعلمين، طالما أننا نؤمن أن الروح القدس فاعل في الكنيسة.

وعلى أساسه، وبحسب وجهة نظرنا- فإننا نرى أن كنيستنا ليست في احتياج في وضع شروط لتحديد الآباء المعلمين، وذلك لأننا نعرف الآباء، فكل من قبلت الكنيسة تعليمه واحتفظت به في ذاكرتها وضميرها هو أب بغض النظر عن الشروط الأربعة، ونلاحظ أن ضمير الكنيسة قد ميز بين الآباء المعلمين الأرثوذكسيين ومنحتهم لقب "أب قديس" وبين الكتّاب الكنسيين الأخرين الذين تحفظت على بعض تعاليمهم ومنحتهم لقب "علامة"، ونري أن قائمة تحليل الخدام توضح لنا مجموعة من ألمع أسماء الآباء المعلمين ولكن لا يمكن قصر الآباء المعلمين عليهم فقط كما ذكرنا.

الأصالة

وبحسب وجهة نظرنا، فإننا نعتقد أنه يجب أن نضيف أيضا "الأصالة" كواحدة من المميزات التي يجب أن نضيفها إلي الصفات

الأربعة الخاصة بالأب المعلم التي تحدثنا عنها، وهي واحدة من أهم ما يميز كتابات الآباء الكبار.

تعريف "الأصالة" originality ,πρωτοτυπία : هي أن **يقدم الآب المعلم شيئاً جديدًا في صياغته وفي أفكاره، مقدمًا ما يتفرد به عن سابقيه من المعلمين، وألا ينقل منهم بدون إسهام شخصي منه، أي أن يقدم الأب إسهامًا يكون هو أصله وليس مجرد تكرار لما سبقه من فكر.** فبلا شك نجد كل أب قد استعان بمن قبله من الآباء من أفكار وصياغات ولكن في نفس الوقت أيضا نراه أنه أضاف من عنده ما يميزه من أسلوب في شروحاته، فعلى سبيل المثال نجد أن القديس كيرلس الكبير قد نقل من القديس أثناسيوس بكثرة فيما يخص ردوده على الأريوسيين ولكن بعد تفجر الصراع على طبيعة المسيح مع نسطور نجده قدم إسهامه الخاص به، وبالمثل في الكنيسة اليونانية نجد أن يوحنا الدمشقي قد نقل من تفاسير القديس ذهبي الفم، ولكن في نفس الوقت قدم إسهامه الخاص فيما يخص تكريم الأيقونات.

التقسيم الجغرافي للآباء

نلاحظ أن قائمة الآباء المذكورة في تحليل الخدام هي كلها لآباء شرقيين وهم من كتبوا باللغة اليونانية ولا يوجد أي واحد منهم من الآباء الغربيين الذين كتبوا باللاتينية، وبالطبع فهذا أمر طبيعي حيث تهتم كل كنيسة بآبائها، ويأتي في المرتبة التالية الآباء في الكنائس الأخرى الذين كتبوا بنفس اللغة المتداولة عندهم، ويهمل آباء الكنائس الأخرى الذين كتبوا بلغة مغايرة، ولذلك فالآباء اللاتين لا وجود لهم نهائيًا عندنا. والذي نحب أن نلفت الانتباه إليه هو أنه كما

رفضنا القدمية علي أساس كونها تقسيم زمني يحاول حصر عمل الروح القدس في فترة زمنية معينة، فينبغي علينا ألا نستسلم لفكرة التقسيم الجغرافي لحصر عمل الروح في منطقة جغرافية محددة أو في لغة معينة، فكما أوضحنا بأن خلو قائمة الأسماء من الآباء اللاتين لا يرجع إلا بسبب أن كتابتهم لم تصل لنا بسبب اختلاف اللغة، ومن ثم فإن دراسة كتاباتهم الآن أمر مهم للغاية. فتنوع فكر الآباء باختلاف أماكنهم وعصورهم يكسر فكر التحزب، ويساهم بلا شك في التوجه نحو وحدة الكنيسة الجامعة.

ما يميز كتابات الآباء الأولى.

[illegible] "الأصالة" originality و πρωτοτυπία [illegible] يقدم الأب المعلم شيئاً جديداً في عباراته وفي أفكاره مقدماً ما يتفرد به عن سابقيه من المعلمين، ولا ينقل حرفياً [illegible] بمعنى أن يقدم الأب إسهامه يكون هو إسهامه وليس مجرد تكرار لما هو مسبقه من فكر. فبلا شك نجد كل أب قد استعار ممن قبله من الآباء من أفكار وعبارات، لكن في نفس الوقت أيضاً نراه له إسهامه من عنده مما يميزه من أسلوبه في شروحاته، فعلى سبيل المثال نجد أن القديس كيرلس الكبير قد نقل من القديس أثناسيوس بكثرة فيما يختص بالرد على الأريوسيين وفي بعض تفسير الصراع على طبيعة المسيح، مع أن استطاع أن يقدم إسهامه الخاص به. وبالمثل في الكنيسة اليونانية نجد أن يوحنا الدمشقي قد نقل من تفاسير القديس ذهبي الفم، ولكن في نفس الوقت قدم إسهامه الخاص فيما يختص بتكريم الأيقونات.

التقسيم الجغرافي للآباء

نلاحظ أن قائمة الآباء المذكورة في تعليقات الهداة هي كلها لآباء شرقيين وهم من كتبوا باللغة اليونانية ولا يوجد أي واحد منهم من الآباء الغربيين الذين كتبوا باللاتينية، وبالطبع فهذا أمر طبيعي حيث تهتم كل كنيسة بآبائها ويأتي في المرتبة الثانية الآباء في الكنائس الأخرى الذين كتبوا بنفس اللغة المتداولة عندهم، ويهمل آباء الكنائس الأخرى الذين كتبوا بلغة مغايرة، ولذلك فالآباء اللاتين لا يحوز لهم [illegible] عندنا، والذي نحب أن نلفت الانتباه إليه هو أنه كما

الفصل الثالث

كتابات الآباء

أولاً: تحقيق كتابات الآباء

تحقيق كتابات الآباء هو الاهتمام بتصحيح النص محل الدراسة علي معظم المخطوطات المتوفرة له، بحيث نصل إلى أقرب قراءة للنص الأصلي. علاوة علي ذلك عمل دراسة لغوية ولاهوتية للتحقق من شخصية الكاتب.

لما كانت كتابات الآباء ذات أهمية قصوى نجد أن كثير من الكتابات المنحولة قد دست ونسبت إلى مشاهير الآباء وهنا يأتي دور البحث العلمي في تحقيق كتابات الآباء ومعرفة الأصيل منها والذي يشهد له أنه من كتابات هذا الأب بالفعل أم أنه منحول.

لذلك يقسم علماء الآباء الكتابات من حيث نسبها للآباء الي ثلاث اقسام:

١) **كتب ثبت صحتها**

٢) **كتب لم يثبت صحتها Dubia**

٣) **كتب ثبت عدم صحتها spuria**

والكتابات التي لم يثبت صحتها **Dubia** هي كتابات ربما كتبها الأب وربما لم يكتبها، حيث لا يوجد دليل للتأكيد أو النفي القاطع.

١- ظاهرة الكتابات المجهولة المؤلف

يرجع السبب في هذه الظاهرة هو أن الكاتب يرى أنه يقدم تقليد الكنيسة وليس تعاليمه الخاص، وهي ظاهرة قديمة قدم البشارة المسيحية ذاتها، فالإنجيل يخص المسيح وليس شخص الرسول الذي دونه لذلك تداولت الاناجيل في البداية بدون أسماء كتابها، علي عكس الرسائل التي بحسب طبيعتها يجب أن يذكر اسم كاتبها.

ومن أشهر هذه الكتابات التي وصلت لنا ولا نعرف اسم مؤلفها **الرسالة إلي ديوجينيتوس**، فنحن نعرف اسم المرسل إليه ولا نعرف اسم الراسل، وعلى الرغم من ذلك فإن المحتوى الروحي السامي للرسالة، قد حفظها في ذاكرة وتراث الكنيسة. مثل أخر كتابات الآباء النُساك المعروفة **بالأبوفثجماتا** (أقوال الآباء الشيوخ)، فهي مجموعة من الأقوال والحكايات التي تم تداولها في القرن الثالث والرابع وقد دونت في فترة متأخرة وذلك بعد تداولها شفويا لفترة طويلة وأصبح من العسير نسب العمل لشخص معين قام بتجميع تلك الروايات معًا.

٢- ظاهرة الكتابات ذات الأسماء المزيفة

كما ذكرنا أن أهمية وقيمة كتابات الآباء كحكم في مجادلة ومرجعيتها كحجة جعلها هدفاً كي يتم تزيفها أو اختلاقها، فيتم نشر كتابات تحت أسماء لامعة بهدف ترويجها لأغراض عدة نذكر منها:

١- إعلاء من شأن عمل ما عن طريق نسب هذا العمل لأب من مشاهير الآباء القدامى، ويعتبر هذا الدافع هو أهم سبب لنسب الكتابات إلى أسماء من مشاهير رجال الكنيسة، ومن أشهر الأمثلة علي ذلك تلك الأعمال المنسوبة لقديس **ديونيسيوس الايوباغي** وهو تلميذ القديس بولس الرسول ومن المحال أن يكون هو كاتب تلك الأعمال المنسوبة له لأن تلك الكتابات من المؤكد أنها قد ظهرت بعد مجمع خلقدونية وبعد عصر الإزدهار الليتورجي وانتشار الرهبنة، وعصر المجامع المسكونية الكبيرة كما يظهر بوضوح من قراءة تلك الكتابات.

٢- الرغبة في تكميل حقبة مهمة من التقليد الكنسي يكتنفها الغموض والصمت – مثل بعض أناجيل الأبوكريفا وأعمال الرسل المنحولة، إنجيل الطفولة – حياة أخنوخ الخ

وعندنا في الكنيسة القبطية المثل الواضح فترة دخول العرب مصر، فنجد بعض الكتابات منسوبة لأسماء كبيرة كنبوات عن دخول العرب مصر كنبوات أنبا صموئيل.

٣- إصلاح بعض الاصطلاحات اللاهوتية على تعليم قديم لمعلم شهير، فمثلا قراءة **أعمال يوستينوس الشهيد** بعد وفاته بقرنين تحتاج مراجعة علي ضوء ما نحت من صياغات لاهوتية جديدة، فيكون الحل وهو كتابة عمل أرثوذكسي

يُنسب لهذا الأب تستخدم فيه الاصطلاحات اللاهوتية المستقرة في الكنيسة بعد نحتها في أعمال المجامع المسكونية، حيث أن الكتابات الأصيلة ليوستينوس الشهيد كتبت قبل الجدل اللاهوتي المثار ومن السهل إيجاد بعض التعبيرات له غير المصقولة التي يمكن للهراطقة استخدامها والاستفادة منها بشكل خاطئ.

٤- إعادة إنتاج كتاب قديم له قيمة عالية، بعد تنقيته من أفكار غير أرثوذكسية او أسماء هرطوقية مشبوهة، **مثل العظات المنسوبة للقديس مكاريوس**، التي يظن بعض الدارسين أنها خرجت من جماعة المصليين التي تم حرمنها من الكنيسة الجامعة، فكان من الضروري تنقية العمل من أي أفكار خاطئة ثم تزين الكتاب باسم أب من مشاهير الآباء النُساك، حتي يتم تداول الكتاب بدون مشكلة.

٥- تلخيص أفكار لأب معين عن طريق تجميعها من كتاباته لتكوين موضوع جديد، مثل بعض الرسائل المنسوبة لذهبي الفم يدافع فيها عن الحكم عليه، وهي مجمعة من رسائله بعد محاكمته.

٦- الكاتب يخشي ذكر اسمه الأصلي مثل نسطور فقد ألف كتاب يدافع فيه عن عقيدته بعد حرمانه في مجمع أفسس فكتبه تحت اسم مستعار "هيراقل الذي من دمشق" Ἡρακλείδης ὅ ἐκ Δαμασκοῦ

٧- الكتابات المنسوبة بالخطأ، وليست منسوبة لمشاهير الآباء عن قصد كما في الحالات السابقة. وهي كتابات نُسِبت لبعض

الآباء عن طريق الخطأ بجمعها مع كتابات القديس مثل الرسالة الثانية المنسوبة للقديس كليمندس الروماني، وهي عبارة عن عظة مسيحية قديمة نُسِبت إليه عن طريق الخطأ.

الخلاصة التي نحب أن نوضحها هنا أن قيمة الكتاب ومصدقيته لا ترجع لاسم الكاتب، إنما بمدي **قبول الكنيسة لمحتواه** وحفظها له في ذاكرتها، فنجد على سبيل المثال أن "عظات مكاريوس" على الرغم أنه من المؤكد أنها ليست للقديس مكاريوس إلا أن محتواها الروحي العالي وقبول الكنيسة لتلك العظات وتداولها هو المهم حتي لو كانت لكاتب مجهول.

وبالمثل، فبعض الكتابات معروف أن كُتَّبها لم يكونوا أرثوذوكس مثل أشهر النُساك السريان (مثل مار اسحق السرياني، ويوحنا سابا) ولكن القيمة الروحية العالية في كتبتها ادت لإنتشار هذه الكتابات في ربوع الكنيسة الأرثوذكسية، ومع ذلك نجد أن النُساك الأرثوذكسيين الذين قام بنقل ونسخ هذه الكتابات كانوا من الوعي بأن قاموا بتنقيتها من أي أفكار غير أرثوذكسية أو صيغ لاهوتية غير سليمة أو اسماء لمعلمين غير أرثوذكس. ومن ثم فإن النصوص المترجمة بالعربية في كنيستنا القبطية لهؤلاء النُساك قد تم تصحيحها للتلائم مع الروحانية الأرثوذكسية.

ثانيًا:- تصنيف كتابات الآباء

يمكن تصنيف كتابات الآباء تاريخيًا أو وفقًا للغة التي كتبوا بها.

١- تصنيف الآباء بحسب اللغة

اللغة الأولى للتراث المسيحي هي اللغة اليونانية، وبهذه اللغة قد كتب كل من

١- الترجمة اليونانية للعهد القديم (المسماة الترجمة السبعينية)

٢- كتب العهد الجديد كلها.

٣- النصوص الليتورجيا القديمة.

٤- كتابات آباء الكنيسة الشرقية.

فهي لغة اللاهوت المسيحي في العالم كله وذلك في بداية ظهور المسيحية في القرن الأول والثاني، حتى أن القديس بولس عندما بعث برسالته إلى الكنيسة المسيحية في روما دونها باللغة اليونانية وليس اللاتينية، وقد كتب كثير من مشاهير آباء الكنيسة في الغرب باليونانية، مثل القديس إيرنيئوس أسقف ليون، وكذلك هيبوليتس الروماني، أما بداية ظهور الأدب المسيحي المدون باللغة اللاتينية فلا يعود إلى روما ذاتها بل إلى شمال أفريقيا، وتحديدًا في مدينة قرطاجنة (تونس الآن) عاصمة أفريقيا في ذلك الوقت.

ومن أشهر الآباء الذين كتبوا باللاتينية:

١- **العلامة ترتليان** ويعتبر الرائد في كتابة المؤلفات المسيحية واللاهوتية باللاتينية، وقد كان من مدينة قرطاجنة بشمال افريقيا. – القرن الثالث

٢- والقديس **كبريانوس** الأسقف والشهيد. من مدينة قرطاجنة أيضًا

٣- القديس **أمبرسيوس** أسقف ميلانو- القرن الرابع

٤- القديس **هيلاري أسقف بواتييه** الذي يسمي بأثناسيوس الغرب.

٥- القديس **أغسطينوس** وهو من مدينة هيبو من شمال أفريقيا أيضا ويعتبر أعظم من كتب باللغة اللاتينية – القرن الخامس)

٦- القديس **جيروم** وقد أهتم بترجمة الكتاب المقدس بعهديه إلى اللغة اللاتينية.

أما مشاهير الآباء الذين كتبوا باليونانية فهم كل آباء الكنيسة القدامي شرقًا وغربا قبل ظهور الأدب اللاتيني المسيحي في شمال أفريقيا، حيث بدأ إحلال اللغة اللاتينية محل اليونانية في كل الغرب المسيحي بينما بقي الشرق في كنيسة الإسكندرية، كنيسة أنطاكية والقسطنطينية يستخدم اللغة اليونانية حتي بدأ دخول العرب.

ولكن ابتداءً من القرن الثانى الميلادى بدأت لغات أخرى تأخذ مكانتها جزئيًا فى الشرق كلغات محلية بجوار اليونانية مثل اللغة السريانية فى سوريا والقبطية في مصر، واللغة الأرمينية في أرمينيا.

أشهر الآباء الذين كتبوا باللغة السريانية.

القديس **مار افرام السرياني**، وقد كان يكتب أشعار وترانيم مسيحية للدفاع عن الايمان. (القرن الرابع).

القديس **مار فلكسينوس المنبجي** (القرن الخامس) وله مؤلفات نسكية وعقيدية لدفاع عن إيمان الكنيسة الأرثوذكسية ضد مجمع خلقدونيا. ويعتبر معلم القديس ساويروس الأنطاكي.

مار اسحق السرياني (القرن السابع): وهو ينتمي الكنيسة السريانية الشرقية النسطورية، ويعتبر أكبر ناسك مسيحي يترك مؤلفات نسكية غاية في الأهمية.

مار يوحنا سابا (الدالياتي) (القرن الثامن): وهو الشيخ الروحاني، وهو ينتمي الكنيسة السريانية الشرقية النسطورية، أيضا، وقد ترك مجموعة رسائل ومجموعة أخرى من الميامر.

وللغة السريانية أهمية خاصة حيث أن كثير من كتابات الآباء قد فقد أصلها اليونانية وحفظت لنا فقط في ترجمات باللغة السريانية، مثل كتابات القديس ساويرس الأنطاكي الذي كتب باليونانية، قد وصلت لنا معظمها عن طريق الترجمات السريانية.

- أما **اللغة القبطية** فى مصر فأشهر من كتب بها هو **الأنبا شنودة** رئيس المتوحدين.

٢- تصنيف كتابات الآباء حسب التاريخ

عادة يكون التصنيف وفقًا لمجمع نيقية عام ٣٢٥م فيصنف الاب الذي ظهر وفقًا لهذا التاريخ بأنه من آباء ما قبل مجمع نيقية، أو من آباء نيقية أو أباء ما بعد نيقية.

غيـر أننـا نحـب أن نصـف كتابـات الآبـاء إلـى ثـلاث محطات رئيسية هي:

١- كتابـات الآبـاء الرسـوليين (نهايـة القـرن الأول حتـي منتصف القرن الثاني).

٢- كتابات الآباء المدافعين (القرن الثاني والثالث).

٣- العصـر الـذهبي للآبـاء فـي القـرن الرابـع والخـامس. (كتابـات عقيديـة موجهـة ضـد الهراطقـة، كتابـات تفسـيرية للكتـاب المقـدس – نصـوص ليتورجيـا فـي عصـر الازدهـار الليتـورجي – كتابات نسكية).

- الآباء الرسوليون

الآبـاء الرسـوليون هـم الجيـل التـالى لعصـر الرسـل ، وذلـك العصـر الـذى انتهـى بانتقـال القـديس يوحنـا الرسـول والـذى عـاش إلـى نهايـة القـرن الأول الميـلادى. وهـؤلاء الآبـاء الرسـوليون هـم مـن تتلمـذوا بشكل مباشر على يد الآباء الرسول.

من خصائص هذه الكتابات.

أنهـا كانـت ذات " طـابع رعـوى "ولـم تعتمـد علـى الفلسـفة اليونانيـة السـائدة فـى ذلـك العصـر ، بـل كانـت هـذه الكتابـات ذات أسـلوب بسيط. وأهم هذه الكتابات التي وصلت لنا هي:

- **الديداكيـة "تعلـيم الـرب"** : هـو كتـاب يحـوي مجموعـة مـن الوصايا الأخلاقية، وبه جزء ليتورجي.

- **كتـاب " الراعـى " لهرمـاس** : عبـارة عـن مجموعـة مـن الرؤى والوصايا وهى عن موضوع التوبة بعد المعمودية .

- **سبع رسائل للقديس أغناطيوس الأنطاكى (الثيوفورس أي حامل الإله):** وهي تغطى موضوعات وحدة الكنيسة والحياة فى المسيح ومحاربة الأفكار الهراطقة التى سادت فى عصره .

- **رسالة للقديس بوليكاربوس** ومقال عن استشهاده .

- **الرسالة إلى ديوجينيتس** (لايُعرف كاتبها) . وهي رسالة دفاعية عن الجماعة المسيحية.

- **الرسالة المنسوبة لبرنابا الرسول** وهي عبارة عن شرح لعلاقة العهد القديم بالمسيحية.

- **الرسالة الأولى لكليمندس الروماني:** تعالج مشكلة الإنقسام والتحزب الذى ساد فى كنيسة كورنثوس.

- الآباء المدافعون

بعد إنتهاء عصر الآباء الرسوليين ظهر كُتاب الجيل التالي لهم وكانت كتاباتهم تتسم بأنها تدافع عن الجماعة المسيحية الناشئة من افتراءات الوثنين والإمبراطورية الرومانية، بسبب رفض المسيحيين بالاعتراف بالديانة الدولة الوثنية وعبادة الأصنام مما أدي إلى اشاعة كثير من الإتهامات ضدهم مثل:

١- أنهم ملحدون حيث أن إلهم ليس له تمثال مادي يعبد

٢- أنهم أكلت لحوم بشر، لتناولهم جسد الرب ودمه

وغيرها من الأكاذيب.

ففي الوقت الذي كان يقدم فيها كثير من المسيحيين حياتهم للإستشهاد لرفضهم ترك إيمانهم، كان هناك فريق أخر قدم بكل

شجاعة كثير من الكتابات المرفوعة للأباطرة للدفاع عن الإيمان المسيحي وحق المسيحيين في الحياة في سلام داخل الإمبراطورية الرومانية، غير أن الدفاع عن الإيمان المسيحي لم يوجه فقط ضد الوثنين بل كانت هناك الحورات مع اليهود أيضا للدفاع عن الإيمان المسيحي والتأكيد أن العهد القديم سبق فأنباء بالسيد المسيح له المجد.

وتتسم هذه الكتابات بالاتي

١) هي أول كتابات توجه لغير المؤمنين عكس الكتابات الرسولية التي تشمل عظات أخلاقية موجهة للكنيسة.

٢) هي كتابات تتسم بروح الخطابة وفنونها فبالتالي تتسم ببلاغة اللغة.

٣) تغلب عليها الحجة العقلية حيث كان الأب المدافع يقوم بدور المحامي.

٤) الجدل الفلسفي يغلب عليها، حيث دخل هؤلاء الآباء في نقاشات مع الفلاسفة لفضح السخافات والأعمال غير الأخلاقية المرتبطة بالوثنية وبأساطير آلهتها.

من أشهر الآباء المدافعين

١) يوستين الشهيد

٢) أثيناغوراس الأثيني

٣) العلامة ترتليان

- العصر الذهبي للآباء – آباء القرن الرابع والخامس

في هذه الفترة دخلت الكنيسة عصر جديد، حيث باعلان الامبراطور قسطنطين منشور ميلانو لتسامح الديني، وأنتهاء

الاضطهاد ثم إهتمام الامبراطورية بأحوال الكنيسة ووحدتها، وفي ذات الوقت بدأت الرهبنة في الظهور وبدء يظهر لها نشاط أدبي، في ذات الوقت بدأ أيضا ظهور كثير من الهراطقة من داخل الكنيسة وقاموا بدمج الفلسفة بالإيمان والعقيدية، الأمر الذي دفع الآباء في تدوين مؤلفات لمواجهة الهراطقة في أمور العقيدة فجاءت كتابتهم هذه ردًا على الأفكار العقيدية للهراطقة.

هذا بالإضافة لنمو الظاهر في الكتابات التفسيرية، والعظات التعليمية، والصلوات الليتورجيا. وكذلك الكتابات النُسكية، والقوانين الكنسية والقوانين الرهبانية، حيث استخدم هؤلاء الآباء الكثير فنون الآدب في التعبير.

الفصل الرابع

مدارس تفسير الكتاب المقدس عند الآباء

في البداية لم تكن هناك مدارس خاصة لتفسير الكتاب المقدس، بل توجهات فردية لشرح الكتاب المقدس، غير أنه بعد ذلك بدأت تظهر توجهات جماعية واساليب مشترك لمجموعة من دارسي الكتاب المقدس بنفس الطريقة والأسلوب، أدي ذلك لظهور ما أطلق عليه مدارس تفسيرية وإن لم تكن بالضرورة عبارة عن مدارس حقيقية كبنية وفصول، ويمكن تقسيم تلك التوجهات المتنوعة في التفسير إلي ثلاث مدارس وهي :

١- مدرسة الإسكندرية :ومن أشهر معلميها (أوريجانوس – كيرلس)

٢- مدرسة أنطاكية: ومن أشهر معلميها (تيودور المبسوستي - يوحنا ذهبي الفم)

٣- المدرسة اللاتينية الغربية: ومن أشهر معلميها (جيروم – أغسطينوس)

١- مدرسة الأسكندرية

كانت مدرسة الإسكندرية أول مدرسة من هذا النوع، حيث بدأت تتشكل ملامحها مع نهاية القرن الثاني، لتمثل تيارًا فكريًا في

التفسير ينضوي تحت لوائها عددًا من شارحي الكتاب. والمنبع الفكري الأساسي لهذه المدرسة هو الثقافة والفلسفة اليونانية لأفلاطون، التي تأدب بها رواد هذه المدرسة، ومن ثم حاول شراحها **التقريب بين الفلسفة اليونانية والإيمان المسيحي**، وقد تبنوا **التفسير الرمزي** للكتاب المقدس كمحاولة لتوفيق بين الأثنين.

غير أن جذور هذه الأسلوب في التفسير الرمزي تعود بلا شك لشراح اليهود الذين مزجوا بين الحضارة العبرانية والهيلينية في آن واحد وعلى رأسهم العلامة والفيلسوف اليهود **فيلو الذي يعتبر الأب الروحي للمدرسة الرمزية.**

ورائد هذه المدرسة هو بلا شك العلامة أوريجانوس .

أوريجانوس غني عن التعريف وقد شرح أسس التفسير الرمزي في كتابه الضخم الشهير "عن المبادئ" **Περι ἀρχῶν** ، والمعروف باللاتينية باسم De Principle الذي شرح فيه أسس العقيدة المسيحية، وقد أفرد في الجزء الرابع من هذا الكتاب أسس التفسير الرمزي التي قد تبناه.

أسس التفسير عند أوريجانوس

بعض عبارات الكتاب لا يمكن فهمها بشكل حرفي أبدًا مثل

١) تجسيد الله في شكل بشري وهو ما يعرف بـ **ἀνθρωπόμορφον** أي الحديث عن الله أن له يد أو عين أو وجه الخ ..

٢) بعض قصص العهد القديم تذكر أمور لا أخلاقية إذا أخذت بشكل حرفي مثل سكر نوح و زواج لوط من بناته وزنا يهوذا بثامار الخ

٣) هناك أمور غير مستساغة وغير مفهومة، مثل تحريم أكل نوعيات معينة من الحيوانات أو الطيور.

٤) بعض الوصايا غير مقبولة لو فسرت بشكل حرفي، مثل قطع الأغلف من جماعة بني إسرائيل لأن العقاب يجب أن يقع على والديه الذان لم يختناه.

ومن ثم فإن التفسير الرمزي يقدم لنا الحل لتلك الاشكاليات.

ينظر أوريجانوس للأحداث التاريخية للكتاب على أنها وسيلة لشرح المقاصد الإلهية ولإعلان الحقائق الأبدية، ومن ثم فالأهمية ليست في حقيقة الحدث بل في مغزاه الروحي.

وتفسير الكتاب المقدس عند أوريجانوس يكون على ثلاث مستويات وذلك في ضوء مكونات الإنسان الثلاث التي يسردها القديس بولس " وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. "[١٥]. هو ما يعرف بالتقسيم الأفلاطوني للإنسان (جسد ونفس وروح).

١) التفسير الحرفي يمثل الجسد
٢) التفسير الأخلاقي يمثل النفس
٣) التفسير الرمزي المجازي يمثل الروح

---

[١٥] ١تس ٥: ٢٣

ويشبه أوريجانوس هذه المستويات الثلاث بسفينة نوح التي كانت تتكون من ثلاث طوابق في الأول توجد الحيوانات غير الطاهرة والثانية الحيوانات الطاهرة وفي الطابق الأخير البشر. ويري أوريجانوس أن بعض الآيات يجب تفسيرها حرفيًا وأخرى يجب تفسيرها روحيًا مستشهدًا بقول الرسول بولس : " قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ."[16]

ولا يمكن أن يذكر اسم أوريجانوس ويغفل دوره في تأسيس علم تحقيق النصوص الكتابية، فقد كان رائدًا بعمله الشهير **الهكسبلا** (أي ذو الستة أعمدة) وهي أول محاولة لعمل دراسة مقارنة بين النص العبري للعهد القديم مع الترجمات اليونانية لذات النص حيث وضع نص الآية الواحد علي ستة أعمدة متناظرة.

ولقد كان للعلامة أوريجانوس تأثير جبار في المفسرين الذين أتوا من بعده حيث أتبع منهجيته الكثير منهم، على الرغم من اختلافهم معه في كثير من الأمور مثل القديس كيرلس الكبير. كما أنه تمت ترجمة أعمال أوريجانوس سريعا للغة اللاتينية بواسطة روفينوس (٣٤٥- ٤١٠م) مما أدى لانتشار مؤلفات أوريجانوس في الغرب.

٢- مدرسة أنطاكية

لم تكن مدرسة أنطاكية ذات كيان مادي مثل مدرسة الاسكندرية كفصول ومباني تقدم فيها محاضرات بشكل منتظم، ولكنها كانت تيارًا فكريًا ومنهجية، وقد بدأ نشاطها مع لوكيان الشهيد (٢٥٠-

---

[16] اكو ٢: ١٣

٣١٢) واستمرت إلي ما بعد مجمع أفسس ٤٣١م. وقد تأثر رواد هذه المدرسة بالتفسير الرابوني وذلك لأنهم تناقلوه من الجماعة اليهودية التي كانت في انطاكية، وذلك على عكس مدرسة الاسكندرية التي اخذت من يهود الشتات المتاثرين بالحضارة الهلينية وفلسفة أفلاطون. بينما مدرسة انطاكية تأثرت بالاكثر بفلسفة أرسطو.

وقد هاجم مفسري انطاكية مثل تيودور الموبسوستي التفسير الرمزي لمدرسة الاسكندرية، واستمسك مفسري انطاكية بالتفسير الحرفي التاريخي حتي كتب تيودور كتابا بعنوان "التفسير المجازي والتاريخ" موجهًا ضد تفاسير أوريجانوس والسبب في ذلك هو الاعتقاد بانها تنكر الاحداث التاريخية للكتاب المقدس وذلك بتقديم التفسير الرمزي لها ، كما أنها أتاحت للهراطقة امكانية استخدام التفسير الرمزي لتدعيم توجهاتهم الهرطوقية. وجدير بالذكر أن مفسري أنطاكية قد لجئوا ايضا للتفسير الرمزي ولكنه بالأحري (النماذجي) لتفسير مع احداث العهد القديم كنموذج عن السيد المسيح ولكن لم يكن هذا هو الاتجاه الأعم لهم كمفسري الاسكندرية.

٣- المدرسة الغربية

وهم الآباء الذين كاتبوا باللغة اللاتينية في كنيسة روما، وهذه المدرسة قد أخذت من كلا من مدرستي الشرق الاسكندرية وانطاكية ونوعت ما بين التفسير الرمزي الاسكندري والتفسير الحرفي التاريخي لانطاكية، ويري العلماء أن هذه المدرسة لم تستنبط نمط تفسير جديد بالمزج بين مدرستي انطاكية والاسكندرية بل أنها تأرجحت مابين المدرستين فأحيانًا يقدم المفسر التفسير الرمزي

وأحيانًا أخري يعرض التفسير الأخر الحرفي. غير أن هذه المدرسة أعطت اهتمام خاص لمسألة السلطان الكنسي في التفسير ومن أبرز رجال هذه المدرسة : **القديس جيروم والقديس أغسطينوس.**

***

تفسير القديس ذهبي الفم لسفر التكوين كنموذج لمدرسة أنطاكية

قدم القديس ذهبي الفم مجموعتين من العظات عن سفر التكوين، الأولى وهي الأقدم والأقصر إذ تشمل ٨ عظات فقط[١٧] وقد ألقاها القديس في أنطاكية، حوالي عام ٣٨٦م، أثناء الصوم الأربعيني المقدس، قبل سيامته بطريركًا للقسطنطينية، وقد كان حديث العهد بالكهنوت. بينما المجموعة الأخرى عبارة عن سلسلة طويلة من العظات تتكون من ٦٧ عظة تشمل تفسير لمعظم سفر التكوين[١٨] ألقاها حوالي عام ٣٨٨م وقد بدأها أيضا في الصوم الكبير ولكنها استمرت حتى ما بعد عيد العنصرة.

وقد كانت العادة أن تلقى العظات يوميًا في الصوم الأربعيني كما يشير القديس يوحنا لذلك. وكثيرًا ما يرتبط شرح سفر التكوين بالصوم الكبير، حيث ينتهي بالقيامة وهو موسم تعميد الموعوظين، ولذا فإن العظة تستهدف بالأكثر الموعوظين الذين ينتظرون نوال الميلاد الثاني والخليقة الجديدة، بالتالي فالحديث عن الخليقة الأولى بشرح سفر التكوين هو مقدمة ضرورية لتعليم أولئك الموعوظين ولذلك نجد أن كثير من آباء الكنيسة شرحوا هذا السفر في الصوم الأربعيني وخاصةً الاصحاحات الأولى منه التي تتحدث عن الخلق وبداية تاريخ الخلاص. جدير بالذكر أن القديس أوغسطينوس قد أقتبس من عظات

---

[١٧] *PG* 54, 581-630

[18] *PG* 53,21-385 - 54,385-580

القديس يوحنا ذهبي الفم هذه في إحدى كتاباته ضد أسقف يدعي يوليانوس[19] كان يعتقد بهرطقة بيلاجيوس[٢٠].

وسوف نستعرض التعاليم اللاهوتية للقديس يوحنا للمجموعة الصغيرة من العظات وهي التي قد قمنا بترجمتها[٢١]. مع إلقاء الضوء على بناء العظة وأسلوب القديس في الوعظ وطريقته في التفسير.

أولاً:- ذهبي الفم كواعظ

لا يقدم لنا القديس ذهبي الفم تعاليمه كمؤلفات مكتوبة، يخطها وهو في صومعته أو مكتبه ككثير من كُتَّاب الكنيسة، بل يعتمد القديس يوحنا ذهبي الفم علي تقديم تعليمه شفويًا مَنْ خلال عظاته حيث يوجد من يدون كلمات خطيب الكنيسة الأشهر، ولعلنا نلمح في إحدى عظاته هذه عن سفر التكوين أن حادثًا عارضًا قد وقع، ألا وهو أن عامل الكنيسة يدخل أثناء عظة القديس لإنارة المصابيح الزيتية مما يشد انتباه الحضور ويشتت تركيزهم عن القديس ذهبي الفم، الأمر الذي يدفعه لتوبيخهم لعدم انتباههم إليه، فحادثة كهذه توضح مدي عفوية

---

[19] Augustine, *Contra Iulianum Pelagianum* 1, 25 (PL 44, 567), see the English Translation, St. Augustine, *Against Julian*, *The Fathers of the Church N°35* . Translated by Matthew A. Schumacher. 1957. p. 25-31.

[٢٠] بيلاجيوس هو راهب من الكنيسة الغربية وقد علم بأن خطية آدم ليس لها أي أثر على البشرية نهائيًا، بل هي تخص آدم بمفرده، وإن كل إنسان يولد يكون على نفس حال آدم قبل السقوط، وعلم بأن الإنسان يمكنه أن يخلص بجهاده فقط بدون النعمة. أدين بيلاجيوس في مجمع قرطاجه سنة ٤١٨م. وقد تصدى لأفكاره القديس أوغسطينوس مؤكدًا على آثر الخطية الجدية على الجنس البشرى، وضرورة النعمة لأجل خلاص الإنسان.

[٢١] القديس يوحنا ذهبي الفم، *"عظات على سفر التكوين"* ترجمة عن اليونانية مع مقدمة وتعليقات د. جورج فرج، مراجعة على النص اليوناني د. جورج عوض إبراهيم، الناشر المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠١٤.

القديس ذهبي الفم، وكيف أن عظاته ما هي وإلا تسجيلاً واقعيًا لخطبته دون أي تعديل أو تنقيح على النص من جانبه، وذلك بالطبع على عكس كثير من الآباء الآخرين مثل أثناسيوس وكيرلس الذين نجد كتاباتهم عبارة عن أبحاث مرتبة لفصول وموضوعات تم صياغتها مقدمًا بعناية.

وهنا نجد أن بناء العظة عند ذهبي الفم يشبه رسائل القديس بولس التي تبدأ عادة بمقدمة عبارة عن تحية وشكر ثم قلب الموضوع وفي النهاية خاتمة تتكون من نصائح أخلاقية. وبالمثل نجد ذهبي الفم يقدم التمهيد الذي ربما يحتوي على ثناء على انتباه المستمعين وتجاوبهم مع تعليم القديس ثم يقدم موضوعه الذي يطرحه علي هيئة تساؤلات قد تدور في ذهن مستمعيه، فلا يتجنب واعظ الكنيسة الأشهر من طرح كل استفهامات الناس وتذمرهم فيما يخص ميراث البشرية لآثار الخطية الأولى، فتجده يتساءل على لسان أي امرأة لماذا أُعاقب بذنب حواء؟ وكذلك تذمر كل عبد: لماذا ارث مغبة فعل حام ضد أبيه نوح؟ وينجح ذهبي الفم لحد بعيد في إقناع مستمعيه المنصتين اليه عن مسئولية كل إنسان الشخصية فيما يعانيه. وغالبًا ما يوجه القديس حديثه لمستمعيه بصيغة المخاطب المفرد، فتجده لا يمل عن مخاطبة جمهوره وكأنه رجلاً يحدثه، فيعتاد القول مثل (أرايت كيف أن ... ولكن انتبه إلى ... ، فكيف يا ترى ...، وقد تقول لي كيف ...)، ولا يتوقف ذهبي الفم عند طرح التساؤلات التي تدور في ذهنه مستمعيه بل يتجاوزها إلى طرح موضوعات وتساؤلات قد لا تدور في ذهن الحضور ويجعلها مسار حديثه في عظات قادمة.

نجد أن ذهبي الفم يواجه مستمعيه بتوبيخاته لهم دون خجل بسبب تجاهلهم للفقراء، فيرسم لنا ذهبي الفم حال البؤس الشديد الذي كان يعانيه الفقراء في أيامه، فيترجى وبإلحاح مستمعيه عن عدم التواني في تقديم أعمال الرحمة لسد جوع المساكين.

ثانيًا:- ذهبي الفم كمفسر للكتاب المقدس لهذا النص.

يلتزم ذهبي الفم في تفسيره لهذا النص بمدرسة أنطاكية التفسيرية التي تميل دائمًا للتفسير التاريخي والتي تبتعد عن منهج مدرسة الإسكندرية، إذ لا يقدم لنا أي تفاسير رمزية في النص، بل أنه في المرة الوحيدة التي يقابل فيها بين شجرة معرفة الخير والشر وخشبة الصليب، ينطلق من مفردات اللغة حيث أن الكلمتين (شجرة –خشبة) باليونانية لهم لفظة واحدة ξύλον فيلتزم ذهبي الفم بالتفسير التاريخي والواقعي للنص ويعطي كل اهتمامه للجانب الأخلاقي.

غير أن بلاغة القديس تلزمه بلا شك في استحضار الصور البلاغية والرمزية لتقريب المعني، وبالمثل فهو يجد في بعض النصوص الكتابية ما يقابله من صور رمزية فمثلاً عند حديثه عن خضوع الحيوانات لآدم يستخدم المقابلة الرمزية بين نوعية الحيوانات وأفكار الإنسان المرذولة فيقول: "*لأنه كما في الأرض هذا الاتساع والرحابة حيث توجد الحيوانات العجماء وأيضا المتوحشة، هكذا في ساحة نفوسنا بعض أفكارنا خالية من الفهم، ومتوحشة وأخرى بهيمية وأخرى أكثر شراسة ومن ثم يجب السيطرة والانتصار عليها وتسليم*

سلطتها إلى منطق العقل."[٢٢] لكننا نجده يستخدم هذه الرمزية بغاية التعليم الأخلاقي بعيدًا عن التعليم العقيدي.

يعتمد القديس ذهبي الفم بشكل أساسي علي الترجمة السبعينية للعهد القديم، ونجده يقدم بعض من الاقتباسات من أسفار ما بين العهدين مثل سفر يشوع بن سيراخ الذي يقتبس منه ٣ اقتباسات مسبوقة بقوله : "يقول أحد الحكماء"، واقتباس واحد من سفر الحكمة دون اشارة لاسم السفر، و٤ اقتباسات من سفر باروخ.

ونلاحظ أن ذهبي الفم كان مُلمًا بتفاسير وترجمات الأسبقين عليه حيث نجده في العظة السادسة يفاضل بين الترجمات اليونانية للنص الكتابي ولا يكتفي فقط بنص الترجمة السبعينية الأكثر شهرة، ومن ثم لم يستسلم لعدم معرفته باللغة العبرية لنص العهد القديم، حيث نجد أن الباحثين يروا أن تفاسير القديس يوحنا للعهد القديم لا يمكن مساواتها بنظيرتها للعهد الجديد بسبب معرفته باللغة اليونانية التي كُتِب بها النص الأصلي للعهد الجديد.

يهتم القديس ذهبي الفم بالربط بين العهدين القديم والجديد مؤكدًا على وحدة الكتاب المقدس موضحًا أن ما صمت عنه الوحي في العهد القديم أعلنه في العهد الجديد، مؤكدًا على أن الأمة اليهودية في العهد القديم لم تكن مؤهلة لمعرفة ما هو فوق مستواها من أمور روحية، غير أنه يقدم في ذات الوقت من آيات العهد القديم ما يتطابق مع استشهادته من العهد الجديد ليؤكد على وحدة الكتاب المقدس.

---

[٢٢] العظة الثالثة.

نرى أن للقديس بولس الرسول مكانة متميزة عند القديس ذهبي الفم فاقتباساته من رسائل القديس بولس تأخذ النصيب الأكبر، ونلاحظ أن اقتباسات ذهبي الفم هي بالطبع من الذاكرة وليست منقولة وبالتالي ففي بعض الأحيان نجدها غير حرفية.

ثالثًا:- بناء العظة

تتكون عظة القديس ذهبي الفم من ثلاث أجزاء هي:-

أولا مقدمة تمهيدية: وفيها يشدد القديس يوحنا على أهمية الاستماع لكلام الوعظ والانتباه إليه وحفظه ويشجع مستمعيه على أن ينقلوا لعائلاتهم في المنزل كلمة العظة بعد انتهاء اجتماعهم، في هذه المقدمة يقدم ذهبي الفم أجمل ما في فنون الخطابة من تشبيهات بليغة، فتارة يشبه فترة الصوم الأربعيني للمؤمن بفترة الربيع بالنسبة للمزارع وزينة الارض بالزهور الجميلة وكذلك سكينة البحر بالنسبة للملاحيين، وتارة يقدم تشبيهات من وحي حلبات المصارعة الأغريقية وتارة أخرى من السباحة والغوص أي من واقع البيئة والطبيعة.

ثانيا تفسير النص الكتابي: بعد التمهيد ينتقل إلي لب الموضوع الذي يرتكز على النص الكتابي، وفي بعض الاحيان يكون هناك مراجعة لموضوع العظة السابقة، بحيث تكون المدخل لموضوع العظة الجديدة.

الخاتمة: وفي النهاية يختم ذهبي الفم عظاته بموضوع أخلاقي يحث فيه مستمعيه على فعل الخير كتدريب عملي.

وفهم بناء عظة القديس ذهبي الفم ضروري لمن يرغب في استيعاب عظات القديس وتفاسيره الكتابية، حيث يشتكي البعض من أن

القديس يوحنا ذهبي الفم كثيرًا ما يخرج عن الموضوع الأساسي في التفسير، وهذا الأمر سببه عدم إدراك أن القديس كان يقدم تفسيره في قالب وعظي وبالتالي يتحتم عليه تقديم مقدمات تمهيدية ونصائح ختامية تكون بعيدة عن لب التفسير.

رابعًا:- الأفكار اللاهوتية العامة في هذه العظات

١- ترابط العهدين

يؤكد القديس يوحنا على ترابط وتوافق العهد القديم مع العهد الجديد[٢٣]، ويرد على اليهود الذين لا يؤمنون بالعهد الجديد مؤكدًا على تناغمه مع العهد القديم، وفي نفس الوقت يرد على أتباع ماركيون[٢٤] الذين كانوا ينكروا العهد القديم معتقدين بأن إله العهد القديم هو إله العدل والقضاء على عكس إله العهد الجديد المحب.

٢- الخلق من العدم

يؤكد القديس يوحنا على عقيد الخلق من العدم ἐκ τοῦ μηδενός، ex nihilo، ضد الفكر الأفلاطوني الذي كان يعتقد بأزلية المادة بجوار الطبيعة الإلهية، وكان يعتقد أن دور الله ينحصر فقط في تشكيل المادة، حتي دُعي العالم باليونانية κόσμος من الفعل

---

[٢٣] العظة الأولى

[٢٤] هرطوقي ظهر في القرن الثاني، نادى بأن العهد القديم ما هو إلا تاريخ الأمة اليهودية، وأن إله العهد القديم كان قاسيًا، خلق البشر ودفعهم إلى ارتكاب الخطية، ثم عاقبهم عليها، ولم يقبل من العهد الجديد سوى إنجيل لوقا، وبعض رسائل القديس بولس. وصلت لنا أخباره عن طريق ترتليان الذي كتب خمسة كتب ضده.

اليوناني κοσμέω أي "يزين" وأحد معانيه أيضا "يشكل" أي أن الخليقة بهذا المفهوم مجرد شيء تم تشكيله من مادة سابقة الوجود.[٢٥]

٣- الله ليس له صورة بشرية

ويشدد ذهبي الفم على رفض الفكر الذي ينادي بأن الله له هيئة بشرية θεῖον ἀνθρωπόμορφον وهي فكرة هاجمها بشدة الآباء الإسكندريين مثل القديس كيرلس الكبير[٢٦]. ويشرح ذهبي الفم كيف أن الجوهر الإلهي لا يُعبر عنه بأسلوب إيجابي، بل بما يعرف بالأسلوب السلبي ἡ ἀποφατικὴ μέθοδος[٢٧] وهو أمر لا يقتصر فقط على الجوهر الإلهي إنما يشمل أيضًا بعض أفعال الله.

٤- لا يمكن تفسير كل أفعال الله

يشرح ذهبي الفم كيف أن بعض أفعال الله لا يمكن تعليلها مدللًا على أنه حتي بعض الأمور الخاصة بالإنسان لا يمكن تفسيرها مثل العمليات الحيوية الحادثة في جسم الإنسان من تحول الطعام إلى دم ولحم وعظام الخ. ويذهب القديس يوحنا للقول بأن بعض أفعال البشر التقنية أيضا لا يمكن تفسيرها، وبالتالي فإنه لا يمكن تفسير أفعال الله مثل الخلق من العدم.

---

[٢٥] للمزيد أنظر كتاب د. سعيد حكيم *"الآباء والعقيدة"*، مؤسسة القديس أنطونيوس - المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠١٢، ص ٤١-٥٣.

[٢٦] أنظر كتاب القديس كيرلس الكبير *"ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية"* ترجمة د. جورج عوض ابراهيم، مايو ٢٠١٣.

[٢٧] أي أننا لا نستطيع أن نعرف ما يتصف به الله تحديدًا بل فقط يمكننا أن ننفي عنه الصفات البشرية مثل أنه غير محدود، غير مبتدئ الخ، وللقديس ذهبي الفم مُؤَلَف عن ذلك الموضوع، أنظر: القديس يوحنا ذهبي الفم، *"الله لا يمكن إدراكه"* ضد الأنوميين، الجزء الأول، ترجمة القمص مرقوريوس الأنبا بيشوي، الناشر مؤسسة القديس باسيليوس، ٢٠٠٨.

٥- أدم خُلِق سيدًا ورأسًا لخليقة بديعة

يشدد ذهبي الفم على أن آدم قد خُلِقَ رأسًا لخليقة بديعة لذلك فإنه كمثل أي ملك مزمع يدخل مدينة يجب أن يتم تهيئة هذه المدينة وتزينها قبل قدومه لذلك فقد خلقه الله بعد أن زين المسكونة كلها قبل خلقته تكريما له وليس تقليلاً من شأنه. ويشدد ذهبي الفم على أن الله قد خلق آدم كي يكون سيدًا ومتسلطًا علي هذه الخليقة. ومن علامات هذه السيادة هو سيطرة آدم علي جميع الحيوانات والوحوش وخضوعها له. فيرى ذهبي الفم في دعوة آدم لتسمية الحيوانات بأسمائها دليلاً قاطعًا على خضوعها له. كذلك فإن حديث حواء مع الحية برهانًا على عدم خوف الإنسان من الوحوش قبل السقوط. ويؤكد ذهبي الفم على أن خلق الإنسان سيدًا هو دليل على كرم الله ومحبته للبشر إذ أن الناس في العادة تنال التكريم بعد بذل الجهد والمشقة في مسيرة حياتها وبعد ذلك تستحق الإشادة والتكريم، ولكن على العكس من ذلك فقد كرم الله الإنسان حتى قبل أن يخلقه، إذ هيئ له كل الخليقة لاستقباله.

٦- الإنسان مخلوق على صورة الله

يؤكد ذهبي الفم على أن مفهوم خلقة الإنسان على صورة الله ومثاله لا يعني أن الإنسان خُلِقَ من نفس جوهر الله، كلا بالطبع، فالقديس يوحنا يرى أن الصورة هي في السلطة والسيادة على الخليقة وليست في الجوهر.

٧- المرأة خلقت مساوية للرجل تمامًا وسيادته عليها أمرًا عارضًا كنتيجة للسقوط

يؤكد القديس يوحنا على أن المرأة قد خلقت مساوية للرجل تمامًا، فهي ليست فقط معينًا للرجل بل أيضًا "نظيرًا" له أي مساوية له تمامًا، وقد خلقها الله بنفس العبارة التي خلق بها آدم دون تفريق، فليست المرأة أقل من الرجل في أي شيء فطبيعتها هي نفس طبيعة الرجل. هنا يؤكد ذهبي الفم على أن سيادة الرجل على المرأة جاءت كحالة عارضة بسبب الخطية، وليست بسبب يتعلق بطبيعتها، فآدم وحواء لهما نفس الطبيعة تمامًا دون تفوق أو تميز لطبيعة الرجل على طبيعة المرأة. هذه واحدة من أهم الأفكار التي قدمها لنا خطيب الكنيسة الأشهر، الذي يوضح أن سيادة الرجل على المرأة هي "حالة" نتجت بسبب الخطية، ويؤكد بأن المرأة الفاضلة لا تخضع لهذه السيادة إذ بسيرتها الحسنة تصير معلمًا لرجلها.

٨- مفهوم الشر والخطية

يرى القديس يوحنا أن الشر هو المعصية بينما البر هو الطاعة، ويؤكد أن عقوبة الخطية الأولى لا ترجع لنوع الخطية إنما إلى طبيعتها ويشبه دائما ذهبي الفم الخطية بالمرض العضال ويؤكد أن طبيعة هذا المرض هي التي تُمِيت وليست نوعيته.

٩- الخطية تجلب العبودية

عند القديس ذهبي الفم ثمرة الخطية هي العبودية، فطالما كان الوضع الطبيعي للإنسان هو السيادة والسلطة، فالخطية إذن تفقده هذه السلطة وبالتالي يصير عبدًا ويشدد ذهبي الفم علي مبدأ مهم هو أن

العبودية عنصر غريب عن الطبيعة البشرية إذ يؤكد بوضوح أن الله لا يخلق عبيدًا. ولكن بالخطية أصبح الإنسان يخاف الوحوش لأنه قد فقد سيادته الأولى عليها، وكذلك فقدت حواء كرامتها الأولي ومساواتها الكاملة للرجل.

١٠- العبودية ثلاثة أنواع

يري القديس أن الخطية قد جلبت على الإنسان ثلاث أنواع من العبودية وهي علي الترتيب

١- سيادة الرجل علي المرأة وهي أخف نوع من أنواع العبودية

٢- نظام العبودية بين الناس كما حدث مع حام الذي صار عبدًا لإخوته.

٣- نظام العبودية للملوك والرؤساء وهو أسواء نظم العبودية على الإطلاق.

١١- الله يعاقب ولكن برأفة لأنه محب البشر

يشدد دائما القديس ذهبي الفم على أن تأديب الله دائما محتمل، لأنه لفائدتنا، فالله يترأف في عقابه للإنسان، فسيادة الرجل للمرأة هي لأجل حمايتها وبالتالي فهذه العقوبة قد حولها الله لفائدتها إذ قد صار الرجل بالنسبة للمرأة ميناء خلاص وملجأ.

كذلك فيما يخص فقدان الإنسان سيطرته على الحيوانات والوحوش، يؤكد ذهبي الفم أنه ليس كل الحيوانات صارت خارج سيطرة الإنسان، إذ أن الله قد أبقى كل حيوان مفيد وصالح للإنسان

تحت سيطرته، طالما ينفع الإنسان في زراعته ورعيه، إنما فقط الحيوانات المتوحشة وغير النافعة له صارت خارج سيطرته.

وهكذا يؤكد القديس ذهبي الفم أن الله دائما محب للبشر وعقوبته دائمًا رحيمة.

١٢- خلق الله الإنسان مميزًا بين الخير والشر

خلق الله آدم حكيمًا وليس غرًا ساذجًا، لذلك يصر ذهبي الفم على التأكيد أن آدم كان عارفًا للخير والشر قبل أن يأكل من الشجرة المحرمة، ويؤكد القديس على أن هذه المعرفة هنا هي التمييز بين ما هو صالح وما هو طالح، لأنه من المحال أن يكون آدم أقل حكمة من الحيوانات العجماوات التي تعرف أن تميز ما ينفعها عما يضرها ويبرهن القديس على ذلك:-

١- لأن آدم مخلوق على صورة الله ومثاله وبالتالي خُلِق حكيمًا.

٢- أن آدم كانت لديه من الفطنة ما مكنه من أن يسمي كل الحيوانات بأسمائها وهذا دليل على حكمته.

٣- طالما أن آدم كان مؤهلاً لأن يستلم من الله وصية، فبالتالي كان قادرًا على التمييز بين الخير والشر.

١٣- معرفة الشر هي اختباره عمليًا بالممارسة

يؤكد القديس ذهبي الفم على أن معرفة آدم للخير والشر قبل السقوط، لا تعني أن آدم كان يعرف الشر بمعني أنه أختبره قبل الأكل من الشجرة، بل أنه كان مميزًا له عن الخير. ولكن بعد كسر الوصية

بالأكل من الشجرة المحرمة، صارت عند آدم المعرفة الاختبارية للشر وذلك بكسره للوصية ويقدم ذهبي الفم عدة أمثلة على لذلك لتقريب المعني:

١- فالإنسان يعرف المرض ولكن عندما يصاب به تكون له المعرفة الاختبارية للمرض عندما يذوقه.

٢- قايين كان يعرف أن قتل أخيه خطية ولكن بعد جريمته وعقابه صارت له معرفة اختبارية للخطية.

١٤- معرفة الشر لم تأتي من طبيعة الثمرة المحرمة بل من المعصية.

يصر القديس يوحنا ذهبي الفم وبإلحاح على التأكيد من أن الأكل من الشجرة المحرمة في حد ذاته لم يكن هو السبب في معرفة الإنسان للشر، بل أن السبب هو المعصية بكسر الوصية، فطبيعة الثمرة لم تكن بها ما يهب الإنسان معرفة الخير أو الشر، ويحذر ذهبي الفم من أن هذه الفكرة المغلوطة- أن الثمرة في حد ذاتها تهب المعرفة- هي فكرة الشيطان التي أوهم بها حواء، وقد كان كاذبًا مثلما كذب عندما أوهمها بالألوهية.

ويجيب على التساؤل لماذا إذن دُعيت الشجرة بهذا الاسم ويقدم ذهبي الفم في عظة مستقلة مجموعة من البراهين لتدعيم وجهة نظره، مؤكدًا أن التسمية تتعلق بطبيعة الكتاب المقدس الذي يسمي الأشياء طبقًا بالأحداث المرتبطة بالمكان أو الزمان ويعطي أمثلة علي ذلك من الكتاب المقدس.

١٥- كيف ننجو من آثار خطية آدم

يتعرض القديس ذهبي الفم لمسألة آثار خطية آدم ولكن ليس من توجه عقيدي عن الخطية الأولى وآثارها على الجنس البشري بل من منظار أخلاقي عملي، فالقديس ذهبي الفم لم يكن يقدم أبحاثًا لاهوتية كما سبق وأوضحنا إنما عظات تتمركز في الأساس حول الأخلاق المسيحية. لذلك يحاول ذهبي الفم الرد على التساؤلات الخاصة بشان ما هو ذنبنا في تحمل نتيجة فعل آدم؟ فيضع ذهبي الفم قاعدة وهي أننا لا نعاقب عقاب آدم إلا عندما نشاركه خطيته، فمن يتحد مع آدم في خطيته يتحد معه في آثارها أما مَنْ يحيا في المسيح بحياة الفضيلة فلن تكون للخطية أو آثارها سلطان عليه. ويعطي على ذلك أمثلة مثل المرأة الفاضلة التي تصير معلمة لرجلها وليس خادمة له فلا تشارك حواء في سيادة آدم عليها، كذلك دانيال لم تفترسه الأسود لأنها رأته متلألئًا بالصورة الأولى والملوكية التي كانت في آدم قبل السقوط، والأمر ذاته حدث مع الثلاث فتية القديسين وهم في آتون النار. الخلاصة هي أن العلاج الوحيد لآثار الخطية هو حياة البر في المسيح.

١٦- المسئولية الشخصية للإنسان

واحدة من أهم أفكار واعظ الكنيسة الأشهر ذهبي الفم فيما يخص آثار خطية آدم على الجنس البشري هو تركيزه على أن أفعال كل إنسان هي السبب في مغبة آثار خطية أدم عليه، وهو أمر واضح مما سبق وذكرناه من أمثلة للصديقين الذين لم يكن لآثار خطية آدم أي سلطان عليهم، ويلخص ذهبي الفم ثلاثة أسباب تؤكد على أن الإنسان لا يؤخذ بذنب آدم وهي:

١- أن الأسلاف أخطأوا أيضا وليس الأبوين الأولين فقط.

٢- أن الصديقين الذين سلكوا بالتقوى لم يكن للخطية سلطان عليهم مثل دانيال والفتية الثلاثة والقديس بولس والمرأة المتعقلة

٣- إن فداء المسيح وخلاصه قدم لنا من النعم ما هو أعظم من مغبة خطية أدم.

ويجب التنبيه على أن بعض الهراطقة حاولوا استغلال تعاليم القديس يوحنا عن مسئولية الإنسان الشخصية عن الخطية وعن بر القديسين في العهد القديم حتى ينكروا أثر خطية آدم على الجنس البشري واحتياج الأبرار لخلاص المسيح، الأمر الذي رفضه القديس أوغسطينوس موضحًا من تعليم القديس يوحنا - كما ذكرنا- تأكيده على انتشار اثار الخطية في الجنس البشري واحتياج الجميع لخلاص المسيح.

١٧- تأثير نعمة المسيح أعظم من تأثير خطية آدم

يشدد ذهبي الفم على عطية المسيح أعظم بما لا يقاس من خطية آدم ونتائجها على البشرية، يستعين القديس ذهبي الفم بتعاليم القديس بولس الرسول عن النعمة ليؤكد أن العطية التي مُنِحت إلى الإنسان بعد الفداء أعظم مما كان له قبل السقوط، إذ يرى أن *"الشرور التي ادخلها العبد كانت أقل من الخيرات التي منحها السيد"* ويقدم ذهبي الفم اللص اليمين كمثال وبرهان على سخاء نعمة المسيح التي غفرت له خطاياه على كثرتها، على النقيض من أن معصية واحدة لآدم سببت له ضيقات كثيرة.

بل يذهب ذهبي الفم إلي القول بأن النعم التي أجزلها لنا المسيح بفدائها جعلت حال الإنسان أفضل من حاله حتى قبل سقوطه، فيدعوا الإنسان ألا يتحسر على نعيم الفردوس الأول فيقول هل تأسف لأن الوحوش كانت تخضع لك ها هو السيد يعطيك السلطان أن تدوس الحيات والعقارب ولكن يشترط ذهبي الفم أن يكون الإنسان مدققًا في حياته مع الله، بل أن الشيطان أيضا نسحقه تحت اقدامنا وليس كالوعد السابق "هو يسحق راسك وانت تسحقين عقبه". أما حواء، فيؤكد ذهبي الفم لها أنها لم تصر مساوية للرجل بل للملائكة! واعدًا إياها بالحياة الأبدية المملوءة نعيم أبدي.

١٨ - أهمية الوصية وفائدتها للإنسان

لا يفرق ذهبي الفم بين كلمة الوصية وكلمة الشريعة أو الناموس ويرى أن الله يضع دائما الوصية لأجل خير الإنسان وصلاحه، فالوصايا والقوانين هي ضرورة لأجل الحياة ولذلك فإنه يرى أن وجود الرؤساء والحكام ونظام الثواب والعقاب هو لفائدة الإنسان وليس لضرره أو لتقييد حريته.

١٩ - قيامة الأجساد ونعيم الجسد مع النفس

يتطرق القديس لموضوع قيامة الأجساد ويهاجم الأفكار الهرطوقية التي كان يروجها أتباع ماني في أنه لا قيامة للأجساد، إذ يؤكد القديس أنه طالما كان الجسد مشاركًا للنفس في الجهاد والمشقة فيجب أن ينال هو أيضًا نصيبه من النعيم مع النفس في الدهر الآتي.

الفصل الخامس

الأدب المسيحي اللاتيني – العلامة ترتليان

ترتليان والوسط اللاهوتي المعاصر

يعتبر العلامة ترتليان من أوائل اللاهوتيين المسيحيين الذين كتبوا باللغة اللاتينية، وقد دوَّن أعماله في الفترة ما بين عامي ١٩٢م – ٢١٢م، وقد كتب بحماسة شديدة مدافعًا عن المسيحيين والإيمان المسيحي، ضد افتراءات الوثنيين، كما فند الكثير من الأفكار الهرطوقية. وله يرجع الفضل في نحت أهم الاصطلاحات اللاهوتية باللغة اللاتينية.

كان معاصرًا لكل من **كليمندس الإسكندري**، **وإيرنيئوس** في ليون، و**هيبوليتس الروماني**، هؤلاء الأربعة يمثلون أربعة مدارس شهيرة في أكبر عواصم العالم آنذاك (الإسكندرية – ليون – روما – قرطاجنة)، فأكليمندس تحدث عن الغنوسية المسيحية، و إيرنيئوس عن انجماع الكل في المسيح، وهيبولتيس أسس للقانون الكنسي.

أما **ترتليانوس** فيظهر كمدافع عن المسيحية، ضد كل من: الوثنيين الذين يفتروا على المسيحيين بالإشاعات المغرضة، والهراطقة بمحاربته لافكارهم المنحرفة، فكان كاتب متحمس، في دفاعه أو هجومه.

أولاً: حياته

لا نعرف إلا القليل عن حياة الرجل، فقد ولد ما بين عام ١٥٠ و ١٦٠م ، من أبوين وثنيين، في مدينة قرطاجنة في شمال إفريقا، وهي الآن في تونس، وقد تعلم في ذات المدينة ، التي كانت مركزًا مسيحيًا ، وتوفي ما بين عامي ٢٢٥ و ٢٤٠م.

ترتليان في المصادر القديمة

فيما يخص المصادر القديمة عن ترتليان، أفرد له جيروم فصلاً في كتابه الشهير "مشاهير الرجال" حيث يقول:

فصل ٥٣ من كتاب مشاهير الرجال للقديس جيروم عن "ترتليان"[٢٨]

"ترتليان القس، يعتبر الآن أول الكُتَّاب اللاتين بعد فيكتور وأبوللونيوس، كان من مدينة قرطاجنة، في إقليم أفريقيا، وقد كان أبوه نائب الوالي.

وقد عاش في عهد الإمبراطور سيفيروس وأنطونيوس كركلا، وكتب كثير من الكتب لست في حاجة أن أذكر أسمائها، حيث أنها واسعة الإنتشار.

في كونكورديا وهي مدينة في إيطاليا، قد قابلت شخصيا رجلاً عجوزًا اسمه بولس، وقد قال أنه عندما كان شابا قد رأي

[28] Saint Jerome, *On Illustrious Men*, *The Fathers of the Church*, vol. 100, Translated by Thomas P. Haton, chapter 53. p. 74,75

في روما رجلاً عجوزًا كان سكرتيرًا للمبارك كبريانوس، وقد أخبره أن كبريانوس لم يكن يمر عليه يومًا واحدًا دون أن يقرأ لترتليان، وقد كان دائمًا يقول له: "أعطني الأستاذ (المعلم The Master)"، قاصدًا بالطبع ترتليان.

وترتليان هذا كان قسًا في الكنيسة حتى منتصف عمره، ولكن فيما بعد، بسبب حسد وسوء معاملة الإكليروس في كنيسة روما، فقد سقط في عقيدة المونتانيين، وقد تحدث في عديد من كتبه عن "النبوة الجديدة"

وعلاوة على ذلك، قد كتب بشكل خاص ضد الكنيسة، كتب هي:

- عن التواضع،
- وعن الاضطهاد،
- وعن الصوم،
- وعن الزواج الواحد،
- وستة كتب عن الشهوة،
- والسابع الذي كتبه "ضد أبولونيوس".

ويقال أنه قد عاش حتى بلغ من السن أرزله، وأنه قد أعد العديد من الأعمال الصغيرة، والتي قد فقدت"

ترتليان في الأبحاث الحديثة

قام الباحث T. D. Barnes عام ١٩٧١م[29] بإعادة كتابة سيرة حياة العلامة ترتليان من جديد منقيًا إياها من كثير من المعلومات المغلوطة الواردة في تلك المصادر القديمة، وذلك بسبب الخلط الحادث بينه وبين شخصية أخرى لرجل محامي، كان معاصرًا له يحمل نفس اسمه، فقد كان سميه هذا رجل قانون وخطيبًا وعاش في روما عام ٢٠٠م وكان والده قائد في الجيش الروماني في قرطاجنة، بينما ترتليان اللاهوتي المسيحي لا توجد أي أدلة على سفره إلى روما. وأيضا لا يوجد ما يؤكد أنه قد عاش عمرًا طويلا كما يذكر جيروم.

لا نعرف شيئًا عن حياته ونشاطاته، ولكن ما نعرفه عنه بالأكثر هو كتاباته التي تركها.

اسمه حسبما يذكر في نصوصه هو Septimius Tertullianus[30]، وليس Florens Septimius Quintas Tertullianus. الذي نسب إليه فيما بعد.

تعلم وتأدب فنون الخطابة وقد كان يجيد كل من اللاتينية وأيضا اليونانية التي دون بها أيضا بعض كتاباته ولكن للأسف لم يصلنا أي شئ مما كتب باليونانية.

---

[29] T. D. Barnes, *Tertullian a historical and literary study*, Oxford Clarendon Press, 1971.
[30] De Virginibus ve Landis.

نال سر المعمودية في شبابه وسبب دخوله المسيحية هو ما رآه من بسالة وشجاعة الشهداء وعدم خوفهم من الموت، وقد سجل في كتابه عن الشهداء مواقفهم البطولية.

قد كان متزوجًا ولا نعرف شيئًا عن زوجته سوى أنه كتب لها كتابًا ينصحها بعدم الزواج بعد وفاته، وإن لم تستطيع فلتتزوج بإنسان مسيحي تقي، وقد كان حديثه لايخص المرأة فقط بل أيضا للرجل إذ ترمل بألا يتزوج مرة أخرى.

ما يذكره القديس جيروم أنه كان كاهنًا، تستبعده الدراسات الحديثة من واقع كتاباته، فما يذكره ترتليان نفسه يناقض ذلك، حيث يلوم ذاته مع عموم المؤمنين مقارنه بالإكليروس فيما يخص الزواج الثاني، وقد ذكر ذلك في كتابيه الزواج الواحد (٢: ١٢) وكذلك "عن العفة" (٣: ٧)، أما ما ذكره في كتابه عن الصوم (١١: ٤) فإنه لا يعدو سوى حديث عام عن الكهنوت الروحي لكل المؤمنين كما هو مذكور في الرسالة الثانية للقديس بطرس[٣١]

أنضم ترتليان إلى جماعة المونتانيين وذلك عام ٢٠٥م وقد حُرِمت هذه الجماعة من الكنيسة، فمات ترتليان وهو محروم.

أما تأسيسه للجماعة التي سميت باسمه من المونتانيين فيما بعد والتي قد تحدث عنها أوغسطينوس. فربما نشأت هذه الجماعة من تلقاء ذاتها بعد وفاته وليس هو بالضرورة مؤسسها.

---

[٣١] وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. ١بط ٢: ٩.

جماعة المونتانيين.

نشأت هذه البدعة في أسيا الصغرى، في فريجية سنة ١٧٢م، على يد مونتانس، وهو كاهن وثني اهتدى للمسيحية، أعلن أن وحي الروح القدس ما زال عامل بالكنيسة وهو ما أسماه بالنبوة الجديدة وقد دعى نفسه مع سيدتين آخرتين أسمهما برسكيلا وماكسيمليا أنهم أنبياء، وقد كانت هذه الحركة اشبه بالحركات الكريسماتك، حيث يدّعون قبول مواهب الروح مع تجلياته، بالرؤى والإنخطاف، وموهبة النبوة، وقد حرمت هذه الجماعة الزواج الثاني وأعتبرته زنا، وكذلك رفضت توبة الخاطئ بعد المعمودية ، بالإضافة إلى الإفراط في الصوم، وقبلوا النساء في مواقع المسؤولية. وقد هاجمت هذه الحركة الكنيسة ودعت إلى تطهيرها،كل هذه الأفكار وجدت قبولاً عند ترتليان للإنضمام إليها. وما عجل بالصدام بين هذه الجماعة والإكليروس هو مقاومتها سلطان الكنيسة فتم حرمان هذه الجماعة، فحرمها أسقف روما ومن بعده أسقف قرطاجنة، وقد فضل ترتليان البقاء في هذه الجماعة مقاومًا الكنيسة.

شخصية ترتليان

١ـ الأسلوب الهجومي:

سواء في الدفاع عن المسيحية أو الرد على الهراطقة أو اليهود، فقد كانت السمة الغالبة على كتاباته هي الحدة والهجوم.

٢ـ الأسلوب الخطابي والأدبي.

كان ترتليان متمكنا من اللغة اللاتينية واليونانية أيضا، ويري الباحثون أن لغته اللاتينية كانت فخمة، ومتألقة، وكان ذو موهبة خاصة في الكتابة.

٣- الفكر القانوني.

أصطبغ الفكر اللاهوتي عند ترتليان بالملمح القانوني والقضائي، ومن ثم فقد أسس ترتليان التوجه القانوني في اللاهوت الغربي، على عكس الآباء الشرقيين الذين اسسوا للاهوت الخلاصي والشفائي.

٤- موقفه من الفلسفة

رفض ترتليان أي علاقة بين الفلسفة واللاهوت المسيحي، ويعترض على ذلك في قول له شهير يقول فيه: "ما العلاقة بين أثينا مع أورشليم؟ بين الأكاديمية والكنيسة؟ بين الهراطقة والمسيحيين؟ ... حذار أن يعتنق المسيحيون مسيحية رواقية أو أفلاطونية ...".[٣٢] فيعتبر سقراط وغيره من الفلاسفة المسئولين عن كل الهرطقات، وبالرغم من ذلك نلاحظ تأثره بالفلسفة الرواقية وأيضا الافلاطونية.

ثانياً:- تعاليمه

مع ترتليان وجدت الكنيسة صعوبة في أن تجد طريقها الصحيح نحو الأرثوذكسية، وذلك بسبب ما تحتويه تعاليم ترتليان من أخطاء وتناقضات في بعض الأحيان. ولكن في نفس الوقت قدم ترتليان للكنيسة الأداة اللغوية المناسبة، عن طريق ما نحته من مفردات لاهوتية مهمة باللغة اللاتينية، فقدم ترتليان الكثير جدًا

---

[32] De Praescriptione, 7. (On the prescription of heretics)

للاهوت اللاتيني حيث ترجع إليه معظم الإصطلاحات اللاهوتية المهمة باللغة اللاتينية مثل : ثالوث trinitas ، جوهر substantia، شخص persona الخ ...

مصادر ترتليان

١- معرفته بالكُتاب المسيحين السابقين عليه، وبالاخص إيرينيئوس ويوستين، وقد استفاد من كتابتهم في دفاعاته. فبعض كتاباته مقتبسه من كتاباتهم وافكارهم وهو يقول صراحة "إنني استشهد بيوستين، الفيلسوف والشهيد، ... واستشهد أيضًا بإيرينيئوس، العالم المدقق في كل العقائد، ... أود أن أتبع خطاهم في كل كتاب عن الإيمان، كما أفعل في هذا الكتاب"[٣٣]

٢- استخدامه للكتب المقدسة التي فسرها بالطريقة الرمزية والنماذجية.

٣- تأثره بالأفكار الفلسفية الرواقية والافلاطونية.

٤- تأثره بالأفكار المونتانية التي اعتنقها، بعد انضمامه لهذه الجماعة.

التعاليم عن خلق العالم والإنسان

١- فيما يخص **خلق العالم**: أكد أن الله قد خلق العالم "من العدم ex nihilo"[٣٤]، وأن الخلق كان في خطة الله منذ الأزل، وقد خلق الله العالم بواسطة كلمة الله. يتحدث ترتليان عن خلقة الملائكة كونها قوات سمائية يُسميها أرواح مادية وجدت بنفخة

33 *Adversus Valentinianos*, 5

34 *Adversus Hermogenem, 45.*

إلهية.[35]

٢- **نشأة الشر** : يري ترتليان أن منشأ الشر هو سقوط الشيطان الذي خلق في الأصل كملاك، وسبب سقوطه هو خلق الله للإنسان وإعطائه سلطان على الرغم من كون الإنسان من الخليقة المادية.

٣- يشدد ترتليان على أن الله **خلق الإنسان في طبيعة تجمع ما بين الجسد المادي والنفس الغير مادية** ومن ثم فهو يجمع ما بين العالم الروحي والعالم المادي، ويؤكد أن نفس الإنسان قد خلقت غير مرئية وخالدة وذات جوهر بسيط، ولها إرادة حرة.[36]

٤- يتحدث ترتليان على **مشاركة الثلاثة أقانيم في خلق الإنسان** مستخدمًا نفس تعاليم إرينئيوس أسقف ليون عن تشبيه الابن والروح القدس بذراعي الآب اللذان بهما قد خلق الله العالم والإنسان.[37]

٥- يؤكد ترتليان أن **حرية الإرادة عند الإنسان مرتبطة بنفسه**، التي وهبها الله له. وحرية الإختيار تمثل واحدة من خصائص النفس، ويرى ترتليان أنه بسبب هذه الحرية نشأ الشر. فيعتقد أن هذه الحرية قد غيرت الطبيعة البشرية بعد خطية الإنسان الأول، **فصار الموت والخطية يلازما كل إنسان بعده السقوط**. وهكذا فعند ترتليان الشر هو دخيل على الإنسان وليس أصيلاً فيه، لأن الإنسان قد "خُلِق على صورة الله ومثاله".

٦- علم ترتليان أن **خلق الإنسان على صورة الله ومثاله**، يعني أن طبيعة الإنسان بها شيئًا إلهيًا.[38] ومفهوم الصورة عند ترتليان يرتبط بجسد الإنسان، لذلك فإن ترتليان يرى أن الله عندما **خلق الإنسان الأول، خلقه على نفس شكل الابن المتجسد**، أي أنه أعتقد أن صورة آدم كانت مطابقة لصورة السيد المسيح تمامًا

---

[35] *Adversus Marcionem*, 2, 8. 3, 9.
[36] *De Anima*, 22.
[37] *Adversus Hermogenem*, 45.
[38] *De Spectaculis*, 2.

من جهة الشكل والهيئة.[٣٩]

٧- يري ترتليان أن الوالدين يهبا ابنهم النفس أيضا مع الجسد ومن ثم فإن **الخطية الأولى يرثها الابن من والديه بالميلاد**[٤٠]، وهذه الفكرة عن ولادة النفس وإنتقال الخطية الأولى بالميلاد، قد تبناها اللاهوتين الغربيين بعد ترتليان، وقد تم تنقيحها فيما بعد بواسطة لاهوتي العصر الوسيط في الكنيسة الغربية.

٨- يصف ترتليان حالة الإنسان قبل السقوط بحالة البراءة والصداقة مع الله والمعيشة الهنية في الفردوس بحسب مسرة الله. ويري ترتليان أن فقدان الإنسان لهذه الحالة من النعمة كان سببه افتقار الإنسان للصبر.[٤١]

٩- **وبالسقوط** خرج الإنسان عن الحدود التي قد رسمها له الله وصار منتجًا لكل ما هو ضد إرادة الله، وأمسى يستخدم جسده ونفسه ضد مقاصد الله. وبالسقوط فقد الإنسان سيطرته على أعضاء الجسد وسيطرت عليها القوات المضادة، ويعزى ترتليان سقوط الإنسان إلى حسد إبليس وحرية إرادة الإنسان بالإضافة لافتقاره لصبر والطاعة.

١٠- يشرح ترتليان **خطية الإنسان في إطار المفهوم القضائي** مستخدمًا تعبيرات مثل "العقوبة"، "التعدي على ناموس الله"، "العدل"، هكذا فإن تعاليمه ذات طابع قانوني.

١١- في النهاية فإن ترتليان يؤكد أن الإنسان بعد الخطية لم يفقد حرية إرادته وبالتالي يمكنه أن يجد طريق العودة (التوبة) وعدم الاستسلام للشر، الذي هو دخيل عليه، حيث أن الشر يظهر بكونه الحرمان من النعمة، الذي يخلق حالة بعيدة تماما عما أراده الله للإنسان، وهذه الحرية تعطي الإنسان القدرة على

---

[39] *Resurrectione Camis*, 6.

[40] *De Anima,* 27. , A. J. FESTUGIÈRE, "La composition et l'esprit du "*De Anima*" de Tertullien», *RSPT*, 33 (1949), p. 129-161.

[41] *De Patientia,* 5.

مقاومة الشر، وهذا يؤكد أن الإنسان لم يزل مخلوقًا على صورة الله حتي بعد السقوط.

التعاليم عن الثالوث

تحدث ترتليان عن وحدة الجوهر الإلهي في الثالوث القدوس، وهو أول من استخدم تعبير (ثالوث) باللغة اللاتينية، وقد واجه ترتليان بدعة "الموداليزم (modalisme) التي كانت تعتقد أن الآب والابن والروح القدس أقنوم واحد متعدد الظهورات، وكانت تسمي أيضا بـ " (patripassiens) أي مؤلمي الآب، أي الذين ينسبون للآب الصلب والآلام، وهي نفس أفكار جماعة المونارخين التي كانت في الشرق في أيام أوريجانوس، وقد حارب ترتليان كل هذه الأفكار. كما أنه أكد على أن ولادة الابن **من نفس جوهر الآب** مستخدمًا تعبير ex substantia Patris.

يتهمه البعض في السقوط في بدعة التدرج أو التبعية في الثالوث Subordination – أي أن الابن أقل من الآب وفي نفس الوقت أعظم من الروح القدس، غير أن بعض الباحثين مثل الأب جورج فلورفسكي يري أن هذا الإتهام غير صحيح، وراجع بالحكم على كتاباته دون النظر إلى زمان كتابتها حيث لم تكن الاصطلاحات اللاهوتية قد استقرت في الكنيسة في فترة ما قبل المجامع المسكونية، ولم تكن المفردات اللاهوتية قد نُحتت بدقة، فكانت اصطلاحات ترتليان غير مصقلة، ومن ثم فإن الأمر لا يرجع إلى فساد عقيدته.

الخريستولوجي

أكد ترتليان على أن السيد المسيح له طبيعتان، الطبيعة الإلهية لكلمة الله، والطبيعة البشرية، ويري أن هاتان الطبيعتان متحدتان ويعتبر تعليمه عن طبيعة المسيح ذو تأثير قوى على طمس البابا ليون الشهير في مجمع خلقدونية.

التعليم عن الكنيسة

وصف الكنيسة بأنها أم mater ecclesiae، ترضع أولادها من ثدييها، وذلك في كتابه إلى الشهداء (فصل ١)، وكان اكليمندس الأسكندري قد سبقه بزمن قليل في استخدام هذا التعبير في كتابه "المُربي". وحتي بعد أنضمامه إلى جماعة المونتانيين فيرى أن الكنيسة هي أم الأحياء الحقيقية وذلك في كتابه عن النفس (فصل ٤٣).

بعض أخطائه اللاهوتية

١- إنكاره دوام بتولية العذراء، فيرى أنها عذراء أثناء الحبل المقدس، وإمراءة بعد ذلك. وقد هاجمه القديس جيروم – فيما بعد- على ذلك.

٢- بعد إنضمامه لجماعة المونتانيين ظهر تطرفه فرفض الزواج الثاني وأعتبره زنا.

٣- بعد المعمودية بعض الخطايا الكبري لا مغفرة لها كالزنا.

٤- إعتقاده بالملك الألفي الأرضي.

٥- قبول معمودية الهراطقة طالما تمت بطريقة صحيحة (أي على اسم الثالوث القدوس وليس الآب فقط).

ثالثًا: كتاباته

نعرض كتابات ترتليان مرتبة زمنيًا:

عن العروض المسرحية De Spectaculis,

كتب في عام ١٩٦م أو بداية عام ١٩٧م، وفيه يحرم على المسيحيين متابعة عروض المسارح العالمية، أو السيرك الخ.

ضد عبادة الأوثان De Idololatria,

كتب في عام ١٩٦م أو بداية عام ١٩٧م، وفيه يرفض ترتليان مشاركة المسيحي ليس فقط في العبادة الوثنية أو التبخير للأصنام، إنما أيضًا، ألا يبيع التماثيل أو البخور، أو تدريس الفلك، مؤكدًا أن المسيحي لا ينبغي أن يعبد سيدين، الله وقيصر، كما يتطرق إلى تحريم الخدمة العسكرية.

عن زينة النساء (١) De Cultu Feminarum I,

كتب ترتليان كتبين مختلفين يحملان نفس العنوان عن زينة المرأة، الأول كُتب عام ١٩٦م أو ١٩٧ وينتقد فيهما زينة النساء، وكذلك أيضا الرجال الذين يهتمون بزينتهم من صبغ الشعر الخ.

إلى الأمم Ad nations

كتب في صيف عام ١٩٧م بهدف دحض الإتهامات

التـي يوجهها الوثنيون إلـى المسيحيين. ويقدم فيه دفاعًا عن وحدانية الله، مؤكدًا أن المسيحية ليست جريمة حتي يعاقب بها المرء.

ضد اليهود Ad Judaeos

كتب في صيف عام ١٩٧م، ليوضح لليهود أن ناموس العهد القديم يسري فقط حتى مجئ السيد المسيح. وهو يحاكي في هذا الكتاب، "حوار يوستين الشهيد مع تريفون اليهودي".

إلى الشهداء Ad Martyras,

كتب في صيف أو خريف عام ١٩٧، لمديح الشهداء وتثبتهم على الإيمان.

دفاع Apologeticum,

كتب في خريف عام ١٩٧م أو ١٩٨م ، من أهم أعمال ترتليان، يشمل على أفكار الآباء المدافعين السابقين عليه في القرن الثاني، وفيه ينادي بالحرية الدينية للجميع.

شهادة النفس De Testimonio Animae,

كتب في عام ١٩٨م وتحدث فيه أن النفس البشرية في طبيعتها هي مسيحية بالفطرة.

عن المعمودية De Baptismo,

كتب ما بين عامي ١٩٨م و٢٠٣م، ويعتبر أول كتاب عن أحد الأسرار الكنسية يكتب كمقال مستقل قبل مجمع نيقية.

عن الصلاة De Oratione,

كتب ما بين عامي ١٩٨م و٢٠٣م، به تفسير للصلاة الربانية.

عن التوبة De Paenitentia,

كتب عام ٢٠٣م، يرى أن التوبة مرة واحدة بعد المعمودية، ولكن الكنيسة تقبل توبة ثانية بعد المعمودية وهي توبة علنية. وكان هذا قبل اعتناقه المونتانية.

عن الصبر De Patientia,

كتب ما بين عامي ١٩٨م و٢٠٣م، يتحدث فيه عن فضيلة الصبر التي يرى نفسه أبعد ما يكون عنها.

إلى زوجته Ad Uxorem,

كتب ما بين عامي ١٩٨م و٢٠٣م، يحث زوجته بعدم الزواج بعد وفاته، أو أن تتزوج رجلاً مسيحيًا تقيًا.

عريضة احتجاج ضد الهراطقة De Praescriptione Haereticorum,

كتبه عام ٢٠٣م قبل أن يتحول إلى المونتانيه، يعتبر من أهم كتاباته، وكلمة "Praescriptione" هنا ليست ذات معني طبي نهائيًا، بل قانوني، ففي القانون الروماني تستخدم هذه الكلمة فيما يعرف بحق التملك بالتقادم، بحيث لا يستطيع أحد أن يرفع دعوى لينزع ملكية من استحوذ على شيء ما بالتقادم، وترتليان يري أن الكتاب المقدس هو من ملكية الكنيسة وفقًا لهذا الحق. وفي هذه الحالة فإن المتهم يكتب اعتراضه في وثيقة تسمي بهذا الاسم – Praescriptione وهي كلمة من شقين Prae-scriptione اي ما كتب سابقًا. أي عريضة الاحتجاج المقدمة قبل المرافعة.

والنزاع هو بين الكنيسة والهراطقة على ملكية الكتاب المقدس، وكتاب ترتليان هذا هو العريضة المسبقة لرفض الدعوة، حيث ان الكتاب هو من ملكيات الكنيسة الذي اكتسبته بالتقادم. فالكتاب المقدس والتقليد هما ملك للكنيسة وليس الهراطقة، فلا يحق لهم أن يستخدموا الكتاب المقدس لأنهم في الحقيقة لا يستخدموه بل يحرفوا معناه، وهو في هذا يتبع القديس إيرينئوس، وقد أوضح أن السيد المسيح منح الآباء الرسل فقط وليس غيرهم حق البشارة بالإنجيل، كما أن الآباء الرسل قد إئتمنوا الكنائس التي أسسوها فقط على حفظ تعاليمهم والكتب المقدسة.

الترياق ضد سم العقرب Scorpiace

كتب في نهاية عام ٢٠٣م أو بداية عام ٢٠٤، فيه يشبه ترتليان الغنوسيين بالعقرب، الذين يدعون أن الله غير راغب في الاستشهاد، وأن الشهداء يجعلون من الله قاتلاً. يرى البعض ان هذا المقال قد كتب في أثناء إضطهاد سكابولا.

ضد هيرموجينيس Adversus Hermogenem,

كتب ما بين عامي ٢٠٤م و ٢٠٥م، ضد شخص غنوسي أسمه هيرموجينيس كان رسامًا، وكان يعلم بأن المادة أزلية مثل الله.

عن الرداء اليوناني المدعو "الباليوم" De Pallio,

كتب عام ٢٠٥م، أصغر أعماله على الإطلاق، وفيه يرد على الإنتقادات التي وجهت له بسبب تغيير زيه من ثياب الروماني الفضفاض المعروف باسم "التوجه Toga" إلى رداء الفلاسفة اليونانيين المعروف باسم "الباليوم Τρίβωνα"، حيث يري أن من حق كل فرد تغيير ثيابه كما يشاء، موضحًا أن الباليوم قد أصبح رداءً مسيحيًا.

عن زينة النساء (٢) De Cultu Feminarum II,

هو الكتاب الثاني لترتليان الذي يحمل نفس الاسم، وهو كتاب مختلف عن الأول وإن كان يحوي نفس المضمون، وقد كتب ترتليان الكتاب الثاني عام ٢٠٥م أو ٢٠٦م.

عن جسد المسيح, De Carne Christi

كتب عام ٢٠٦م حتي يدحض هرطقة الخيالين الذين يعتقدوا أن السيد المسيح لم يتخذ جسدًا حقيقيًا.

ضد أتباع فالنتينيوس, Adversus Valentinianos

كتب ما بين عامي ٢٠٦ و٢٠٧م، ضد الفكر الغنوسي لفالنتيوس وأتباعه، هذا الكتاب تأثر فيه بشدة بالفصل الأول من كتاب "ضد الهرطقات" لإيرينيئوس. وفي هذا الكتاب في الفصل الخامس، يصرح أنه يقتبس ويتبع خطى يوستين، وإيرينيئوس، وغيرهم.

عن النفس, De anima

كتب في عام ٢٠٦م أو ٢٠٧م، وفيه يحارب الأفكار الغنوسية والفلسفية الأفلاطونية الخاصة بالنفس. التي تعتقد أن لنفس وجود سابق عن الجسد، وأن سبب وجودها في الجسد، هو أنها قد أخطأت في العالم الأخر (الروحي) وقد عُقبت بحبسها في الجسد.

عن قيامة الأموات De Resurrectione Carnis,

كتب في عام ٢٠٦م أو ٢٠٧م، يشدد على حقيقة قيامة الأموات.

ضد ماركيون, Adversus Marcionem

كتبه في فترة انضمامه إلى جماعة المونتانيين، بين عامي إبريل ٢٠٧م وإبريل ٢٠٨م، من أهم كتاباته، وأكبرها حجمًا حيث يتكون من

خمسة كتب، ويعتبر أفضل كتاب يعطينا معلومات عن ماركيون وأفكاره. وفيه يدحض أفكار ماركيون التي تنادي بأن إله العهد القديم ليس هو إله العهد الجديد الصالح، وأن مسيا العهد القديم، ليس هو المسيح.

عن إكليل الجنود ,De Corona Militis

كتب في بداية عام ٢٠٨م، يهاجم فيها إنضمام المسيحيين للجيش. وسبب كتابته هذا الكتاب هو أن أحد الجنود المسيحين رفض أن يلبس تاجًا على رأسه كباقي الجنود المنتصرين، مما أثار حفيظة الملك، فعلل الجندي فعلته أنه مسيحي ولا ينبغي عليه لبس تاج، وقد تكبد قطع رأسه نتيجة ثبات موقفه هذا، الأمر الذي أعتبره الإكليروس تطرفًا من الجندي، حيث أنه لم يأمر بتقديم البخور للأوثان حتي يرفض، وفي هذا الكتاب يشيد ترتليان بموقف الجندي، ويهاجم الإكليروس على مواقفهم تجاهه.

حث على العفة ,De Exhortatione Castitatis

كتب ما بين عامي ٢٠٨م و٢٠٩م، لأحد أصدقائه الذي قد ترمل ويحثه بعدم الزواج مرة أخري لأنه يعتبر الزواج الثاني زنا.

عن الهروب في زمن الإضطهاد De Fuga in Persecutione,

كتب ما بين عامي ٢٠٨م و٢٠٩م، وفيه يرفض هروب المسيحي وقت الإضطهاد وعدم قبوله الإستشهاد.

عن حجاب (غطاء رأس) العذارى De Virginibus Velandis,

كتب ما بين عامي ٢٠٨م و٢٠٩م، يحث فيه العذارى والمتزوجات حديثًا أن يغطين شعر رؤوسهن.

ضد براكسي Adversus Praxean,

كتب بين عامي ٢١٠م و ٢١١م، وهو من أهم أعماله اللاهوتية، حيث يعتبر أول كتاب يخصص لشرح عقيدة الثالوث، وفيه يحارب هرطوقي يدعي براكسي كان يعتقد ببدعة الموداليزم، وقد أستفاد القديس أوغسطينوس بهذا العمل في كتابه عن الثالوث.

عن الزواج الواحد De Monogamia,

كتب بين عامي ٢١٠م و ٢١١م، يحرم فيه الزواج الثاني ويعتبره زنا، ويري أن الزواج يجب أن يكون واحدًا كما أن الله واحد.

عن الصوم De Jejunio

يدين فيه المسيحيين من أتباع الكنيسة التي يصفهم بأنه "نفسانيون" على عكس أتباع جماعة المونتانيين الذين يصفهم بأنهم "روحانيون" الذين يتبعون الكثير من الأصوام الصارمة.

عن الطهارة De Pudicitia,

كتب بين عامي ٢١٠م و ٢١١م، في هذا الكتاب ينقلب ترتليان على أفكاره في كتابه عن التوبة De Paenitentia, بخصوص قبول

التوبة الثانية في الكنيسة بعد المعمودية، كما يهاجم سلطة الاكليروس في الحل والربط ويري أنه يخص "الروحانيون" أي المنتمين لجماعة المونتانيين، كما كان يخص الرسل والأنبياء.

إلى سكابولا Ad Scapulam,

يعتبر أخر أعماله التي وصلت لنا، وقد كتبه عام ٢١٣م، وهو مقال موجه إلى سكابولا وهو والي إفريقيا، وأحرق بعض المسيحيين وأخريين سلمهم للوحوش، فكتب له ترتليان ينذره بعقاب الله، ويؤكد أن الكسوف الكامل للشمس الذي حدث في ١٤ أغسطس سنة ٢١٢م هو علامة غضب الله.

[illegible]

إلى سكابولا Ad Scapulam,

[illegible]

ضد براكسياس Adversus Praxean,

[illegible]

عن الزواج الواحد De Monogamia,

كتبه بين سنتي ٢٠٨م و ٢١٢م، يحرم فيه الزواج الثاني ويعتبره زناء ويرى أن الزواج يجب أن يكون واحداً كما أن الله واحد.

عن الصوم De Jejunio

يدين فيه المسيحيين من أتباع الكنيسة الذين يسميهم بأنهم "نفسانيون" على عكس أتباع جماعة المونتانيين الذين يسميهم بأنهم "روحيون" الذين يلتزمون أكثر في الأصوام الصارمة.

عن الطهارة De Pudicitia,

كتبه بين سنتي ٢١٧م و ٢٢٢م، في هذا الكتاب ينقلب ترتليان على أفكاره في كتابه عن التوبة De Poenitentia, بخصوص قبول

الفصل السادس

الآباء النُساك ـ القديس أنطونيوس

أولاً: ـ سيرة القديس أنطونيوس ما بين التقليد القبطي والتقليد اليوناني

مقارنة سيرة القديس كما وردت في كتاب بستان الرهبان و كتاب السيرة للقديس أثناسيوس

تمهيد

عندما نتحدث عن سيرة حياة القديس أنطونيوس بين التقليد القبطي والتقليد اليوناني فإننا نقصد بالتقليد القبطي التراث القبطي المترجم للغة العربية مع بداية انتشار اللغة العربية في الوسط الرهباني مع الألفية الثانية للميلاد، ونخص في ذلك الكتاب المعروف وهو كتاب بستان الرهبان[٤٢]، أما التقليد اليوناني فنقصد المصادر اليونانية لسيرة القديس وعلي الأخص كتاب القديس أثناسيوس عن حياة القديس أنطونيوس

---

[٤٢] سوف نستخدم نسخة *"بستان الرهبان لاباء الكنيسة القبطية"* مكتبة مار مينا، القاهرة ١٩٥٦، ص ٤-٧.

"Βίος καὶ ἡ πολιτεία τοῦ ὁσίου πατρὸς ἡμῶν Ἁγίου Ἀντωνίου"[43]

والمعروف باللاتينية Vita Antonii الذي يعتبر من أهم المصادر ليس فقط عن القديس أنطونيوس بل عن الرهبنة المسيحية والحياة النُسكية بوجه عام.

العلاقة بين التقليدين

مما لا شك فيه أن التقليدين ينبعان من مصدر واحد:

١- فالقديس أثناسيوس ينتمي بلا شك للكنيسة المصرية وكان ملماً باللغة القبطية ومختلطا بالرهبان الأقباط وهذا يظهر من علاقته بالقديس أنطونيوس في فترة شبابه وزيارته للرهبان الباخوميين.

٢- كتاب القديس أثناسيوس "السيرة" تُرجم مبكراً للغة القبطية الصعيدية[٤٤]، ومن ثم فالرهبان الأقباط قد اطلعوا علي محتواه سريعاً.

٣- كما ان مصادر القديس أثناسيوس عن القديس أنطونيوس بخلاف علاقته الشخصية كان منبعها بلا شك الرهبان الأقباط من تلاميذ القديس أنطونيوس .

---

[٤٣] تم إصدار نسخة محققة للنص اليوناني في مجموعة «Sources Chrétiennes» مع ترجمة فرنسية للنص، وتحتوي علي دراسة للنص اليوناني وترجماته القديمة.

Athanase d'Alexandrie Vie d'Antoine, Introduction, texte critique, traduction, notes et index, ar G.J.M. Bartelink, SC 400, 1994.

في دراستنا هذه سوف نستخدم الترجمة العربية :"*حياة الأنبا أنطونيوس بقلم القديس أثناسيوس الرسولي* تعريب القمص مرقس داود طبعة ثالثة منقحة الناشر جمعية أصدقاء الكتاب المقدس، القاهرة ١٩٨٢"

[٤٤] Garitte Gerard, "*S. Antonii vitae versio sahidica*" (CSCO 117-118), Louvain1954,

إن هدفنا من هذه المقارنة ليس تقديم بعض المعلومات أو القصص الجديدة عن سيرة القديس أو حتى الاهتمام بالتساؤل عن أي هذه الروايات هو الأكثر مصداقية أو حتى محاولة التوفيق بين تلك الروايات المختلفة لإثبات مصداقيتها كلها معاً، وذلك لان أراء بعض الدارسين تري أن كتاب السيرة لأثناسيوس لا يقدم بالضرورة الحقيقة التاريخية المجردة إنما الصورة النموذجية للقداسة التي كان عليها شخص القديس أنطونيوس ونفس الفكرة يمكن أن نقولها عن سيرة القديس في البستان إذ أن الكاتب أراد أن يوضح مبادئ الرهبنة وأسسها من خلال سرد سيرة القديس الذي تمثلت فيه هذه المبادئ كما سوف نري لاحقاً.

وعلي ذلك فان هدفنا هو أن نري كيف قدم شخص مثل القديس أثناسيوس كراعي ولاهوتي موضوع قداسة الأنبا أنطونيوس ليس فقط للرهبان بل أيضا للمؤمنين العاديين من غير الرهبان، وكيف قدم نفس الموضوع كاتب السيرة في البستان لوسط رهباني خالص.

كتاب السيرة للقديس أثناسيوس وأهميته

يعتبر كتاب السيرة من أهم وأقدم الكتابات فيما يخص علم الاجيولوجيا (Ἁγιολογία) وهو العلم الخاص بسير القديسين إذ أن به وضع القديس أثناسيوس الإطار المسيحي لأدب السير(Biography βιογραφία) المتعلقة بقديسي الكنيسة المسيحية وبالأخص النُساك، ومما لاشك فيه انه وجدت كتابات عن سير القديسين قبل هذا الكتاب غير انه هو الأول من نوعه فيما يخص سير الرهبان، وبشكل عام فهو يحتل الصدارة - مع كتاب سيرة قسطنطين الملك ليوسابيوس القيصري - فيما يتعلق بسير القديسين بشكل عام.

فنجد في الكتاب، الإطار العام لسير القديسين الذي علي منواله إتبع فيما بعد كاتبي سير القديسين، حيث كان الآتي:

تمهيد ثم تعريف بمسقط رأس القديس أنطونيوس وبلده، حديث عن عائلته، ميلاده، تربيته ونشأته، حياته وأعماله، تعليمه وعظاته، بعض العجائب التي أجراها الله علي يده، وفي النهاية نياحته.

ولأهمية ذلك الكتاب فانه ترجم سريعا للاتينية علي يد ايفاجريوس الانطاكي كما ترجم للسريانية[٤٥] والقبطية والأرمينية والعربية.

ونَسب الكتاب للقديس أثناسيوس لم يكن محل شك عند أباء الكنيسة القدامى وكُتابها مثل غريغوريوس الثيؤلوغوس وجيروم واغسطينوس وروفينوس وغيرهم كما أن التشكيك في نَسب الكتاب للقديس أثناسيوس لم يعد يلقي قبول معظم الدارسين الآن[٤٦].

حياة القديس أنطونيوس بين السيرة للقديس أثناسيوس وبستان الرهبان:

١- اعتزال القديس أنطونيوس العالم

وفقاً للقديس أثناسيوس فان السبب الذي دفع القديس أنطونيوس للارتحال عن العالم كان الكتاب المقدس، إذ يروي كيف دخل القديس أنطونيوس ذات مرة الكنيسة وسمع قول السيد: «*إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ،*

---

[٤٥] يعتبر النص السرياني ذو أهمية خاصة للعلماء إذ أنه يحتوي علي بعض الإضافات الغير موجودة في الأصل اليوناني الأمر الذي دفع بعض العلماء لافتراض نص قبطي قديم مفقود كان مصدر للنص للسرياني.

Rubenson Samuel "*The Letters of St. Antony. Origenist Theology, Monastic Tradition and the Making of a Saint*" (Bibliotheca Historica-Ecclesiastica Lundensis 24), Lund 1990. P **127,128.**

[٤٦] انظر مقال د. صمويل ربنسون عن روحانية القديس انطونيوس في دورية مركز دراسات الآباء ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، عدد ٦، سنة ٢٠٠٠، القاهرة، ص ٨-١٤.

وَتَعَالَ اتْبَعْنِي»[٤٧]. ثم بدأ يفكر في حياة الرسل كما دونت في سفر الأعمال ولما انشغل في أمر أخته ورعايتها نجد القديس أثناسيوس يعاود ليؤكد كيف انه سمع الإنجيل في الكنيسة "*لاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ*"[٤٨]. وهنا نلاحظ تركيز القديس أثناسيوس كلاهوتي علي تفسير كل فعل للقديس أنطونيوس إلي سند كتابي، إذ أن هَم القديس أثناسيوس هو توضيح ان الرهبنة فكرة نابعة من الإنجيل مما يؤكد علي شرعيتها.

علي النقيض، نجد أن كاتب البستان يحكي لنا قصة مغايرة تماما فالسبب في ارتحال أنطونيوس هو **عبرة الموت** ومنظره، إذ يحكي البستان:

"لما توفي والده دخل عليه وتأمله، وتفكَّر كثيرا وقال: " تبارك اسم الله، أليست هذه الجثة كاملة ولم يتغير منها شيء البتة إلا توقُّف هذا النَفس الضعيف؟! فأين هي همَّتك وعزيمتك وأمرك وسطوتك العظيمة وجمعك للمال؟ أرى أن الجميع قد بُطل وتركته، فيا لهذه الحسرة العظيمة والخسارة الجسيمة ! ثم نظر إلى والده وقال: "إن كنت أنت قد خرجت من العالم بغير اختيارك فلا أعجبن من ذلك، بل أعجب أنا من نفسي إن عملت كعملك" ... ثم إنه بهذه **الفكرة الواحدة الصغيرة** ترك والده بغير دفنٍ وترك كل ما خلّفه من مال ونعيم وخدم وحشم وخرج هائما على وجهه قائلا: أخرج أنا من الدنيا طائعا ولا يخرجونني مثل أبي كارها"

---

[٤٧] متي 19,21.
[٤٨] متي 6,34.

هنا الكاتب أراد أن يقدم خلال شخص أنطونيوس تعليمه عن عبرة وأهمية الموت بالنسبة للراهب، فأنطونيوس يغادر العالم فوراً دون أن يهتم حتى بدفن أبيه، فلم يعد يعنيه أي اهتمام عالمي، بعكس أثناسيوس الذي تحدث أن اعتزاله جاء بعد ستة أشهر من وفاة أبيه أي بعد أن قام بترتيب أمره وانشغل بشأن أخته وأودعها في بيت للعذارى، الأمر الذي لم يذكره نهائياً كاتب البستان.

وإذ تحولنا لسيرة القديس أنبا بولا أول السواح فيمكننا أن نجد صورة مشابهة فالتقليد الغربي لسيرة أول السواح كما دونها جيروم[٤٩] يحكي أن سبب اعتزال بولا هو اضطهاد الإمبراطور داكيوس وهي فكرة مرفوضة تماما في الوسط الرهباني، إذ يرى هذا التقليد الغربي أن الرهبنة هروب من إكليل الشهادة. ولكن لو نظرنا للتراث القبطي نجد أن المخطوطات القبطية تقدم لنا قصة مشابه لقصة القديس أنطونيوس، فبولا الذي يتنازع مع أخيه علي نصيبه في ميراث أبيه يعتزل العالم تاركاً خلفه كل شئ ليس خوفا من الاضطهاد بل بسبب رؤيته لموكب جنازة أحد الأغنياء فيدرك بطلان العالم وفناء غناه، هنا نري كُتّاب السير الأقباط يحاولون توضيح أهمية الموت عن العالم في حياة الراهب من خلال سيّر الآباء الأول. الأمر الذي يتضح جليا من خلال الطقس القبطي لرسامة الراهب إذ لا توجد عندنا طقوس خاص للسيامة سوي إتمام الصلوات الخاصة بالموتى علي طالب الرهبنة، إذ يرقد أمام المذبح بعد أن يغطي كل جسده ووجه كميت تمامًا، وهو طقس فريد من نوعه لا نجده في أي تقليد للرهبانيات

---

[49] Hieronymus, *Vita Pauli* PL 23,17-28.

الأخري، مما يعكس مركز الموت في الفكر القبطي عن الرهبنة الأمر الذي نجح في إبرازه بمهارة شديدة كُتّاب السير الأقباط.

٢- المال

كلا من التقليدين يشهد علي غني القديس، فيذكر القديس أثناسيوس أن القديس أنطونيوس وصية الإنجيل مضي وباع كل مال له ووزعه علي الفقراء منفذًا وصية الإنجيل، بينما البستان يذكر كيف انه ازدري بالمال، وترك كل شئ، دون أدني ذِكر عن عمل الرحمة مع الفقراء، فكاتب البستان لا يهتم بمسألة توزيع المال علي الفقراء، فهي ليست من عمل الراهب ولا من اختصاصه فالمهم بالنسبة له ترك المال وازدراءه أي التجرد (الفقر الاختياري) وليس توزيعه علي الفقراء الأمر الذي ربما يمثل أهمية لراعي كأثناسيوس.

٣- ممن تعلم ق. أنطونيوس مبادئ الرهبنة؟

علي عكس القديس أثناسيوس، لا يخبرنا البستان عن زيارات القديس أنطونيوس للنساك السابقين عليه حتي يتعلم منهم الفضائل المختلفة- إذ يذكر ق. أثناسيوس - *"وكان كلما سمع عن رجل صالح في اي مكان خرج يطلبه مسرعاً كالنحلة النشيطة"*[٥٠] *"...وكان يخضع بإخلاص لكل من زارهم من الرجال الصالحين وعرف تماما أين كان يفوقه كل منهم في الغيرة والنسك. لاحظ لطف هذا وصلاة ذاك بلا انقطاع. وعرف تحرر هذا من الغضب وَرِقة ذلك ..."*[٥١].

---

[٥٠] ف ٣ ص٢٧.

[٥١] ف ٤ ص٢٨.

وصمت البستان عن تلك الراويات ربما لان الكاتب يريد إبراز أن أنطونيوس لا معلم له سوى ملاك من السماء، إذ نري البستان (وأيضا كتاب أقوال الآباء الابوفثجماتا[٥٢]) يذكر كيف أن ملاكاً ظهر لأنطونيوس ليعلمه كيف يقاوم الضجر بعمل اليدين مع الصلاة. ويضيف البستان فقط دون غيره كيف كان يرتدي هذا الملاك ملابساً جعلها أنطونيوس زيًا خاصا بالرهبان، وأصبح لها مركز خاص في التقليد القبطي. علي نفس المناول نجد في سيرة باخوميوس التشديد علي أن قوانين الرهبنة أخذها باخوميوس من ملاك وسيرة مكاريوس تذكر أن شاروبيم كان يرافقه طول أيام حياته. هنا كُتاب السير يريدون أن يوضحوا ماهية الرهبنة ومصدرها السماوي وكيف أن الرهبان هم ملائكة أرضيون.

والجدير بالذكر أن البستان حفظ لنا واحدة من أروع القصص ألا وهي قصة أنطونيوس مع تلك المرأة المستهترة التي أرادت أن تستحم في النيل أمامه دون حياء وكيف أدرك أنطونيوس بان كلامها هو صوت ملاك الرب يوبخه فالبستان الذي لا يذكر تَلمذة أنطونيوس علي نُساك سابقين يشدد كيف انه تعلم من تلك المرأة وكأن الكاتب أراد أن ينذر كل راهب بألا يحتقر الخطاة فربما كان صوت الله يحدثه من خلالهم.

٤- حروب الشياطين وكيف واجه أنطونيوس الشيطان.

هنا نأتي لمفارقة مهمة، ففي كل ما سبق لا يمكنا أن نري اختلافا بين المصدرين بل تنوعًا، أما فيما يخص موضوع حروب الشياطين وموقف ق. أنطونيوس من إبليس نري روايتان بل توجهين

---

[52] PG 65,76.

علـي طرفـي نقيض، فأثناسيوس يقـدم لنـا أنطونيـوس الـذي يـزدري ويحتقـر الشياطين ويشجع أولاده بـوعظ كثيـر للغايـة علـي عـدم الخـوف منهم بل علي احتقارهم وازدراءهم كونهم عديمي القوي مع أولاد الله.

"إذن وجب أن نخاف الله فقط ونحتقر الشياطين ولا نرهبها"[٥٣]

"وإن كـان إبليس قـد اعتـرف بنفسـه أن قوتـه قـد تلاشـت، وجـب ان نحتقره وشياطينه احتقارًا تامًا."[٥٤].

بـل أن ق. أنطونيـوس نفسـه يحكـي لأولاده كيـف ذات مـرة أراد أن يضرب الشيطان ويلطمه!!!

"ومـرة جاءني شـيطان طويـل القامـة ... أمـا أنـا فنفخـت فيـه، ونطقـت باسـم المسـيح، وشـرعت بـأن أضـربه، وبـدا كـأنني ضـربته، وللحال أختفي..."[٥٥].

وفـي نهايـة الأمـر يـذكر لهـم كيف جـاءه الشيطان مرغمـًا ليعتـرف له بالهزيمة[٥٦].

علـي عكـس البستان الـذي يـذكر كيـف واجـه ق. أنطونيـوس الشيطان بالاتضاع إذ أراد الكاتـب ان يسلط الضـوء علـى شخصية أنطونيوس الراهب المتضع الذي وصل اتضاعه لأبعد الحدود لدرجة انه يتضع للشياطين!

- "وابتـدأوا يحاربونـه كلهـم، فقـال لهـم: "يـا أقويـاء، مـاذا تريـدون منـي أنـا الضـعيف المسـكين؟ ومـا هـو قـدري حتـى تجتمعـوا كلكـم علـي

---

[٥٣] ف ٣٠ ص٦٣.
[٥٤] ف ٤٢ ص٧٨.
[٥٥] ف ٤٠ ص٧٥.
[٥٦] ف ٤١ ص ٧٧و٧٨.

وأنـا تـراب ووسخ ولا شـيء، وضـعيف عـن قتـال أحـد أصـاغركم"؟ وكـان يلقي بذاتـه علـى الأرض ويصـرخ ويقـول: "يـا ربـي أعنـي وقـو ضـعفي، ارحمنـي يـا رب فـإني التجـأت إليك، يـا رب لا تتخـلَّ عنـي، ولا يقـو علـي هـؤلاء الـذين يحسـبون أنـي شـيء، يـا رب أنـت تعلـم أننـي ضـعيف عـن مقاومة أحد أصاغر هؤلاء".

فمـن يتضـع للشيطان تُـري هـل سـوف يتكبـر علـي إخوتـه؟ غيـر ان إتضـاع أنطونيـوس هـذا للشـياطين لا يعنـي انتصـار الشـياطين عليـه أبـدًا بـل ان بهـذا الاتضـاع اسـتطاع أنطونيـوس ان يرعـب الشـياطين ويجعلهـم يفرون من أمامه وان يجعلهم يحترقون قدامه كالدخان.

- *"وكـان الشـياطين متـى سمعوا هـذه الصـلاة المملـوءة حيـاة واتضـاعًا يهربـون منـه ولا يقـدرون علـى الـدن وإليـه." ... "وكانـت الأفكـار تسـقط عنـه بمعونة الرب، والشياطين تحترق من كثرة اتضاعه".*

هنا نري ان النتيجة واحد في المصدرين وان اختلف الشكل.

٥- زيارة القديس أنطونيوس لأنبا بولا

لا يـذكر القـديس أثناسـيوس شـيئاً عـن هـذه الزيـارة غيـر أن المخطوطـات القبطيـة تـذكر كيـف أن القـديس أنطونيـوس ظـن أنـه أول مـن خـرج للبريـة، وهنـا يـأتي صـوت مـن الـرب ينـذره بـألا يفكـر فـي أمـرٍ كهـذا ويؤكـد لـه انـه يوجـد مـن هـو أعظـم منـه، وهـدف القصـة يوضـح كيـف يمكن ترد أفكار كهذه علي ذهن الراهب وكيف يعلمه الله الاتضاع.

الخلاصة

نـري ممـا سـبق أن القـديس أثناسـيوس كراعـي أراد أن يقـدم حيـاة أنطونيـوس كناسـك بحسـب الإنجيـل فكـل أفعالـه تصـدر مـن تنفيـذه

للوصية ومن ثم أراد ق. أثناسيوس أن يدعم الحركة الرهبانية التي قد بدأت في الازدهار في عهده وينزع عنها الهواجس التي تنظر إليها أي نظرة ريبة، لذلك فنجد ق. أثناسيوس يشدد كثيرا جدا علي أن ق. أنطونيوس كان متعلما من الكتب المقدسة فحياته وتعاليمه هي من الإنجيل.

"فقد كان يعمل بيده، إذ قد سمع (من الكتب المقدسة) أن الكسول لا يأكل[57] ... لانه تمسك بما قرأ (من الكتب المقدسة) بحيث لا يسقط منه إلي الأرض شئ مما كتب، بل تذكر الكل، بعد ذلك أغنته ذاكرته عن الكتب"[58].

"وأما انطونيوس إذ قد **تعلم من الكتب** أن مكايد ابليس كثيرة ..."[59].

"..خاطبهم باللغة المصرية قائلاً: إن **الأسفار المقدسة كافية للتعليم**.."[60].

"... كي يكون معلمًا للكثيرين للنسك الذي تعلمه **من الكتب المقدسة**"[61].

هنا فإننا نرى أن كتاب القديس أثناسيوس ليعتبر أفضل رد علي الهجوم الذي صاحب حركة الإصلاح البروتستانتية في الادعاء بان الرهبنة لا تتبع من فكر إنجيلي، فكتاب القديس أثناسيوس وبصورة

[57] ٢ تس ٣: ١٠.
[58] ف ٣ ص ٢٨.
[59] ف ٧ ص ٣٣.
[60] ف ١٦ ص ٤٥.
[61] ف ٤٦ ص ٨٤.

ملحة وذكية يدحض هذه الفكرة من خلال سيرة الناسك العظيم فسبب اعتزال انطونيوس وعدم انشغاله بالمستقبل وطريقة معيشته ونسكه ومحاربته لإبليس كله تنبع من تعليم الكتب المقدس.

في نفس الوقت نجد أن أثناسيوس يستخدم سيرة أنطونيوس لمحاربة الاريوسيين فيشير لمحاربة أنطونيوس لهم مقدمًا نموذجًا ايجابيًا للرهبنة في مساعدة الكنيسة في أزمتها الكبرى في القرن الرابع.

والخلاصة نجد أن القديس أثناسيوس يقدم شخص القديس أنطونيوس **كبطل الكنيسة الخارج إلى الصحراء لمجابهة الشيطان والانتصار عليه ذاك الذي اعترف في النهاية بهزيمته أمام قديس الكنيسة وبطلها.**

بينما نجد كاتب السيرة في البستان، كراهب علي النقيض من أثناسيوس، أراد ان يعلم أولاده الرهبان ــ في شخص القديس أنطونيوس الذي استخدمه كنموذج وأمثولة ـ مبادئ الرهبنة ألا وهي الموت عن العالم، ازدراء واحتقار المال، الاتضاع لأقصي حد، عدم احتقار الخطاة، كرامة الزي الرهباني واحترام الحياة الرهبانية كسيرة ملائكية. أن كاتب البستان قدم القديس أنطونيوس علي انه **الإنسان التائب الذي أدرك بطلان العالم وحقيقة الموت لذلك ارتحل هاربا للصحراء باحثا عن خلاص نفسه.**

هكذا بات من الواضح أن كلا من الكاتبين أرادا أن يستخدما حياة القديس أنطونيوس في تقديم الصورة النموذجية للقداسة طبقا لتوجه كل كاتب.

والكلمة الأخيرة التي نوجهها للقارئ الحبيب هو أن المصداقية التاريخية للسيرة لم تكن هي هدفنا ولا موضوعنا بل قيمة سيرة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس في التعليم.

ثانيًا:- قبول الروح القدس عند الآباء النساك

في البداية يجب توضيح أن الحديث عن قبول الروح القدس يعني ببساطة قبول عمل الروح القدس في النفس، فالأمر لا يتعلق بمسألة قبول الروح القدس في سر المعمودية والتثبيت عند المؤمنين الجدد، إنما يتعلق بمدي استجابة الإنسان المؤمن بفعل الروح في حياته، كما عبر القديس بولس قائلا " **بل دعوا الروح يملأكم،** "[٦٢] هنا نلاحظ أن النص اليوناني قدم فعل الأمر في صيغة المبني للمجهول ليؤكد أن فعل الملء ليس من الإنسان بل هو بواسطة الروح ولكن من خلال رغبة وإرادة الانسان وليس أمراً قسريًا إذ أن فعل الأمر موجه للإنسان وليس للروح، ونلاحظ الفعل أنه يأتي في زمن المضارع وليس الماضي ليؤكد علي الاستمرارية ومن ثم فإن واجب الإنسان هو القبول الدائم لعمل الروح في النفس.

ἀλλὰ πληροῦσθε ἐν πνεύματι

قبول الروح عند النُساك الاقباط

١- أنطونيوس

قد القديس أنطونيوس في رسالته الأولي تعاليمه عن قبول الروح القدس أذ يري أن النفس عليها أن تسلم العقل (الذهن) للروح كي يستطيع تطهيرها وهذا يؤدي في نهاية الأمر إلي نقاوة النفس والذهن والجسد بكل أعضائه وحواسه فيقول:

---

[٦٢] أف ٥: ١٨ (حسب الترجمة اليسوعية الجديدة)

" والآن فيما يخص أولئك الذين دخلوا بكل قلوبهم وقرروا أن يحتقروا كل شدائد الجسد وبشجاعة يقاومون الحرب التى تقوم ضدهم إلى أن ينتصروا، فإنى اعتقد، **أولاً أن الروح هو الذى يوجه إليهم الدعوة وهو يجعل الحرب هينة وسهلة بالنسبة لهم، ويجعل أعمال التوبة حلوة ويريهم كيف يجب أن يتوبوا بالجسد والنفس حتى يبلغ بهم إلى التحول الكامل إلى الله الذى خلقهم.. ويعطيهم أعمالاً بواسطتها يمكنهم أن يقمعوا النفس والجسد حتى يتطهرا ويدخلا معًا إلى ميراثهما (حياة الأبد)." الرسالة الأولي**

"وعندئذ يبدأ الروح الذى يرشد (الأنسان)، أن **يفتح عينى نفسه لكى يعطيها التوبة أيضًا لكيما تتطهر ويبدأ العقل أيضًا فى التمييز بين الجسد والنفس**، وذلك عندما يبدأ أن **يتعلم من الروح كيف يطهرهما بالتوبة. وعندما يتعلم العقل من الروح فإنه يصبح مرشدًا لكل أعمال الجسد والنفس معلمًا إيانا كيف نطهرهما.** ويفصلنا عن كل الثمار اللحمية التى اختلطت بأعضاء الجسد منذ المعصية الأولى. ويعيد كل عضو من أعضاء الجسد إلى حالته الأصلية دون أن يكون فيه أى شئ من روح الشيطان. **ويصبح الجسد تحت سلطان العقل المتعلم من الروح** كما يقول الرسول بولس " أقمع جسدى واستعبده " (اكو٩:٢٧) لأن العقل يطهره فى أكله وفى شربه وفى نومه، وبكلمة واحدة فإنه يطهره فى كل حركاته. حتى أنه من خلال طهارة (العقل) يتحرر الجسد حتى من الحركات الطبيعية التى فيه." **الرسالة الأولي**

هنا نري أن القديس أنطونيوس يهتم أن يقدم **الروح القدس كمعلم يرشد،**

٢- القديس أموناس

يهتم أموناس بموضوع قبول الروح القدس الذي يسميه الروح الناري العظيم

١- يري أموناس أن قبول الروح ليس صعب بل ممكن لكل نفس جادة في حياتها الروحية

- الصلاة الدائمة طول الليل والنهار
- الفِلاحة الروحية
- نقاوة القلب فالروح لا يمكن ان يسكن في نفس غير متطهرة (فكرة مشتركة عند أنطونيوس واموناس)
- روح الصبر وروح التوبة
- التمييز
- البعد عن المجد الباطل
- التشبه بالآباء الروحيين
- التجارب والمحن

يرى لأموناس إن احتمال الناسك للتجربة هي النقطة الحاسمة في مسيرة حياته الروحية وقبوله للروح، كما سوف نري عند حديثنا عن احتجاب الروح

٢- يستخدم أموناس كثير من المفردات ليعبر عن مظاهر قبول الروح مثل

- قبول الروح الناري
- القوة الروحية
- روح الفرح
- النار الالهية
- الحرارة الروحية او الحرارة الالهية
- الحلاوة الالهية
- النعمة الالهية

- الثمار الحية
- الكمال الروحي
- التقدم أو الارتقاء الروحي
- مكان الراحة (النياح)
- الفرح والبهجة الالهية
- المجد والنور الابدي
- الخفة (الروحية)
- الرؤيا الالهية

٢- احتجـاب الـروح عنـد القديسين أنطونيـوس ومقـاريوس وأموناس

أ- تخلي الروح واحتجابه

تخلـي الـروح هـو فتـرة التجربـة التـي يمـر بهـا الناسـك او المحنـة الروحيـة والتـي يصـاحبها تخلـي النعمـة عنـه، ثـم بعـد ذلـك حالـة الفـرح الروحـي التـي يصـحبها عـودة القـوة الالهيـة للراهـب مـرة اخـري هنـا، الامـر لـيس خصـام ومصـالحة، انمـا هـي مرحلـة اختبـار روحـي، يصـحبها احتجاب الروح عن الراهب.

فيقول القديس انطونيوس في الرسالة ١٨ العربية

وأنـا أعلِّمكم عملاً آخر يُثبِّت الإنسـان من البدايـة إلى النهاية؛ وهو أن يحب الله من كل قلبه ومن كل نيَّتـه، ويتعبَّد لـه. وعند ذلك يعطيه الله قوة عظيمة وفرحاً، وتحلو له جميع أعمال الله مثل الشهد. وهكذا أيضاً كل أتعاب الجسد، والهذيذ والسهر؛ وحِمْل نير الرب يصير عليه خفيفاً حلواً.

ولأجل محبة ربنا للبشر، **يطلِق على الإنسان أشياء مضادة لتلك، حتى لا يتعظَّم بل يثبت في الجهاد ويزداد في النمو. فعوضاً عن القوة يجد ثقلاً**

وضعفاً، وعوضاً عن الفرح حزناً، وعوضاً عن الحلاوة مرارة. وأشياء كثيرة مثل هذه يصاب بها محب الله. ولكنه يتقوى كثيراً فى جهادها ويغلبها. فإذا غلبها فإن روح الله يكون معه في كل شئ ويقويه حتى لا يخاف البتة من أى شىء ردىء.

أما القديس مكاريوس في رسالته (الاصيلة) وهي غير العظات المنسوبة له فيقول:

"وحينما يري الله أن هذه الاشياء تحلو له، يعرضه للتجربة ليراه هل يرفض الشهوات، وهل يثبت أمام هجمات ولاة هذا العالم الين غلبوه من قبل، وامام ملذات الاطعمة المتنوعة التي تضعف القلب فتصل به الحال (تحت التجربة) الي انه يعجز تقريبا عن الصوم ويكاد يستسلم منهزما بضعف الجسد وطول الزمان، لان أفكاره المعادية تقول له : "كم من الزمان تستطيع أن تتحمل هذه الاتعاب؟" وايضا ***"انه لتعب مرير أن تستحق حلول الله فيك،*** *لا سيما وأنك قد أخطأت بهذا المقدار" ثم ايضا هل يستطيع الله ان يغفر لك كل هذه الخطايا؟ "*

بعد ذلك يتحدث القديس مكاريوس عن مجموعة منوعة من التجارب تحارب الناسك بحروب الشهوة المجد الباطل ويشرح القديس رحلة جهاد الناسك ما بين حرب من الشيطان ومعونة من الله تأتيه بعد أن يظهر جلد وتمسك بتقوي، وفي نهاية المطاف يقول القديس أنبا مكاريوس

"ومتي تجرب بكل هذه الأنواع، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السمائية، أي كل ما يعود بالاستحقاق والعدل على القديسين..."

"وبعد هذا كله يقطع البارقليط عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة، ويعمل فيه، بحيث أن فمه لا يتكلم بأعمال الناس، وأنه يري المستقيم بعينيه، ويضع حارسا لفمه، .... ،ولكن هذه الأشياء يرتبها البارقليط فيه بقياس وإفراز، وليس بتشويش، بل بهدوء."

ثم يعود مرة اخرى ليحزر من مقاومة ترتيب الروح ويقول فإن القوة تنسحب منه وبذلك تتولد في قلبه محاربات و اضطرابات

يوضح اكثر القديس اموناس تعاليم معلمه انطونيوس قائلاً

"ينبغى أن تعرفوا كيف أنه فى بداية الحياة الروحية يعطى الروح القدس فرحًا للإنسان حينما يرى أن قلبه يتحول إلى النقاوة . **ولكن بعد أن يعطى الروح فرحًا وحلاوة فإنه يحتجب ويترك الإنسان** . وهذا دليل على نشاط الروح وفاعليته. وهذا الأمر يحدث مع كل نفس تطلب الله وتخافه . إنه يحتجب ويبقى على بُعد مسافة من الإنسان إلى أن يعرف هل يستمر الإنسان فى طلبه أم لا، إن بعض الناس ، حينما يحجب الروح نفسه عنهم، يتثقلون ويجلسون هكذا متثقلين بدون حركة ، لأنهم لا يطلبون من الله أن يرفع الثقل من عليهم وأن يعطيهم من جديد الفرح والحلاوة التى سبق أن تذوقوها ، ولكن بسبب إهمالهم وبسبب إرادة ذواتهم ، فإنهم يتغربون عن الحلاوة الإلهية. ولهذا السبب فإنهم يصيرون جسدانيين ويرتدون الزى (الرهبانى) بينما هم ينكرون معناه . هؤلاء هم الذين عُميت عيونهم ، فلا يتعرفون على عمل الله فى داخلهم .

ولكنهم لو عرفوا هذا الثقل غير المعتاد، الذى هو عكس الفرح الذى كان لهم سابقًا ، وطلبوا الله بدموع وصوم ، فإنه حينئذ ، حينما يرى أنهم يطلبون باستقامة من كل قلبهم ، ويجحدون إرادة ذواتهم ، فإن الله فى نعمته سوف يعطيهم فرحًا أعظم من الفرح الأول الذى كان لهم . ويحفظهم بثبات أكبر . هذه هى العلامة التى يعطيها لكل نفس تطلب الله ."

لذلك يتحدث **أموناس عن موضوع الحرارة الأولى والحرارة الثانية،** فالحرارة الأولي هي حماسة تاتي لناسك في بداية حياته الروحية وتكون مضطربة وغير مستقرة او دائمة بينما الحرارة الثانية تأتيه بعد اجتياز التجربة وتكون دائمة ومستقرة وتمنحة الراحة

وهي واحدة من الافكار التي اقتباسها منه بعد ذلك الناسك السرياني (يوسف حزايا)

قبول الروح عند الأباء السريان (مار فيليكسينوس)[٦٣]

كثير من النساك السريان تحدثوا عن قبول الروح القدس ومن اشهرهم مار فيلكسينوس والشيخ الروحاني يوحنا سابا الدلياتي – مار إسحق) وسوف نكتفي بمقال للقديس ما فليكسنوس المنبجي عن عدم مفارقة الروح القدس للإنسان

---

[٦٣] مجموعة مار فيلكسينوس المنبجي- ٣- "المؤلفات الروحية" الجزء الأول، الراهب روجيه يوسف أخرس، دير ما أفرام السرياني – معرة صيدنايا ٢٠٠٧. ص ٢٩٥-٣٦٠، وهي الترجمة التي اعتمدنا عليها ، أنظر أيضا "لا تطفئوا الروح للقديس مار فيلوكسينوس " ترجمة وتعليق جورج حبيب بباوي – مركز دراسات الأباء – القاهرة، ١٩٨١، وكذلك أيضا "سكني الروح القدس، القديس مار فيلكسينوس" القمص تادرس يعقوب ملطي، ترجمة نانسي مجدي، ٢٠٠٣.

قدم القديس مار فيلكسينوس مقال طويل عن عدم مفارقة الروح القدس ويحاول ان يجب عن مجموعة من الاسئلة هي

١- هل يُلازم الروح القدس الانسان عندما يخطئ؟
٢- ولماذا لا يتدخل الروح حتي يمنعه من فعل الخطية؟
٣- وماذا يفعل الروح القدس بعدما تخطئ النفس؟

وحاول الاشخاص الذين يدعون أن الروح يفارق النفس أن يمنعوا الانسان من التناول.

وقد قدم القديس فيلكسينوس الاجابات علي تلك الاسئلة موضحًا الآتي

١- عندما نأخذ الروح في المعمودية نصير هيكلاً للروح فلا يفارقنا حيناً ويمكث معنا حيناً أخرى بل يدوم فينا.
٢- لو أن الروح يفارق النفس وقت الخطية فما هو مصير نعمة البنوة التي نالها بالمعمودية وهل يمكن أن يصلي "يا أبانا الذي في السماوات" فيقدم مثل الابن الضال كمثال على عدم مفارقة الروح للإنسان، حيث لم تحرمه خطيته من كرامة البنوة فظل يدعو الله بأباه.
٣- من المعلوم أننا كلنا مذنبون بخطية فهل الروح بعيد عنا كلنا؟! فكيف نجرؤ أن نقول "ابانا الذي في السماوات" عندما نقترب من الأسرار
٤- يوضح ما فيلكسينوس الفارق بين أي خطية مرتكبة بالأفعال وبين الكفر بالله الذي هو أنكار أي عمل لنعمة والتجديف علي الروح
٥- لو أن الروح يفارقنا عندما نخطئ فهذا يعني أنه يخشي أن يلحقه ضرر أو أن يتدنس ولا يمكنه حفظ نفسه وكأنه ساكن فينا كي لا يلحقه ضرر من خطيتنا، وبذلك يكون ضعيفًا ومعرض مثلنا للأذى

٦- يؤكد ما فيلكسينوس أن الروح القدس: *"لا يردع بالإكراه من يشاء أن يخطئ بل يعلم ويحث وعند الخطيئة، لا يهرب من النفس التي حل فيها"*

٧- لو فارق الروح النفس عندما تخطئ فكيف تتوب تلك النفس

٨- وان تابت النفس بعد ما فارقتها الروح فما فائدته ألا يشبه الروح عندئذ الطبيب الفاشل الذي يترك المريض وهو يحتضر ويعود إليه عندما تتحسن حالته.

أما فيما يخص احتجاب الروح يوضح مار فيلكسينوس

"أنه في نفسنا، تارة يحتجب عنها وتارة يشرق عليها، عندما يحتجب لا يفارق، وعندما يشرق لا يأتي من مكان. مثال ذلك هو النور الطبيعي : هو في بؤبؤ العين حتي وهي مغمضة، إلا انها لا تبصر ما دام الجفن مسدل عليها ولكن حين تتفتح، تبصر بواسطة النور الموجود فيها، إذ يلتقي بالنور الخارجي."

***

الفصل السابع - ملحق

شرح عقيدة الثالوث

إهتم آباء الكنيسة بشرح العقيدة المسيحية وصياغة التعبيرات اللاهوتية الدقيقة للحفاظ على نقاوة الإيمان، لذلك فسوف نحاول أن نأخذ فكرة مبسطة عن عقيدة الثالوث وألوهية السيد المسيح في ضوء تعاليم الآباء بطريقة مبسطة بسؤال والجواب.

هل حقًا نؤمن بإله واحد؟

نعم **نؤمن** بإله واحد لأننا ببساطة **نعبد إله واحد** لأن العبادة هي الترجمة العملية للإيمان، فلا يمكن أن نعبد من لا نؤمن به، أو نؤمن بمن لا نعبد.

كيف يكون الله واحد ونحن نؤمن بالآب والابن والروح القدس؟

صحيح نحن نؤمن ونقدم العبادة للآب والابن والروح القدس ولكن نقدم **عبادة واحدة وحيدة** لهم، وليس ثلاث عبادات، فنحن لا نوزع العبادة على الثالوث بمقادير، فلا نتعبد للآب بمقدار ثم للابن بمقدار ثم للروح بمقدار، فالذي يؤمن بتعدد الإلهة عليه أن يقدم عبادة مستقلة لكل إله حتي يرضيه، وهذا أمر بعيد تمامًا عن الإيمان والعبادة

المسيحية، فلا يوجد أي مسيحي في العالم في أي مكان أو أي زمان- أرثوذكسي في معتقده- ، يوزع عبادته بمقادير على الثالوث. هذا هو السبب الرئيسي للاعتقاد بوحدانية الإله.

توجد صلوات توجه للآب وأخرى للابن وأخرى للروح، أليس هذا تعدد في العبادة؟

كلا، لأن أي عبادة موجهة للآب فهي موجهة للابن والروح القدس، فأي عبادة لأي أقنوم موجهة للأقنومين الآخرين وبالتالي موجهة لله. ومن ثم فلا توجد فكرة توزيع العبادة بمقادير لكل أقنوم حتى يدعي أحد علينا بتعدد الآلهة.

كيف أن كل عبادة توجه لأقنوم موجهة للأقنومين الآخرين؟

لأن كل أقنوم في الثالوث حال وموجود وقائم بتمامه في الأقنومين الأخريين أي أن كل أقنوم يحتوي في داخله الأقنومين الآخرين كما أكد السيد بوضوح " أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ" (يو ١٤: ١٠)

ἐγὼ ἐν τῷ πατρί, καὶ ὁ πατὴρ ἐν ἐμοί ἐστιν

ويؤكد أن "الآب الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ." أي أن الآب مقيم وكائن فيه بكامله

ὁ δὲ πατὴρ **ὁ ἐν ἐμοὶ μένων**, αὐτὸς ποιεῖ τὰ ἔργα.

أي أنني كائن وموجود بكمالي وتمامي في أبي وأبي أيضا قائم وموجود فيّ بكماله، وعلى أساسه تكون أي عبادة موجهة للآب هي عبادة موجهة للابن، وبالمثل فالروح القدس حال وكائن في الآب والابن، وهما الاثنان كائنين فيه.

إن كان العهد الجديد قد تحدث عن الآب والابن والروح القدس، فما هو سبب الاصرار على الحديث عن وحدانية الله؟ لماذا لم يتحدث صراحة عن ثلاث آلهة مميزة عن بعضها؟

وقت كتابة الأسفار المقدسة وظهور الإيمان المسيحي كان العالم كله يعج بعبادات كثيرة، وبالتالي فإن مفهوم تعدد الآلهة كان مقبولاً عند الجميع باستثناء الأمة اليهودية، التي على النقيض، كانت تؤمن وتعتقد بوحدانية الله، وقد جاء الإيمان المسيحي وهو في حالة صراع مع اليهود، فلم يكن هناك أي مشكلة أن تجاهر المسيحية بتعدد الآلهة بما يتوافق مع الفكر العالمي آنذاك، ولكن أصرت المسيحية على وحدانية الله، إذن، لم يكن هناك أي ضغط خارجي على المسيحية حتى تجاهر بما تعتقد إن كانت تؤمن حقًا بتعدد الآلهة، بل على العكس سوف تجد مساحة واسعة من التقبل في العالم الوثني الذي كان يعتقد بالتعدد.

ولكن بالرغم من ذلك يصر كُتّاب العهد الجديد على التأكيد على وحدانية الله في كثير من المواضع : "كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ **الإِلهِ الْوَاحِدِ** لَسْتُمْ

تَطْلُبُونَهُ؟" (يو ٥: ٤٤) فالعبارة اليونانية τοῦ μόνου θεοῦ تعني الإله الوحيد، كما جاءت في إحدى الترجمات الإنجليزية the one and only God هنا يتضح التشديد علي وحدانية الله، والأمثلة علي ذلك كثيرة، وهذا الإصرار يرجع لأن الإعلان الإلهي يشدد علي وحدانية الله.

وكيف نفسر إصرار المسيحية علي تعدد الأقانيم ووحدانية الله في آن واحد؟

السبب في ذلك يرجع كما قلنا هو الإعلان الإلهي الذي شدد علي وحدانية الله وفي نفس الوقت شدد أيضا على أنه مثلث الأقانيم الآب والابن والروح القدس. ووحدانية الله ترجع لعدة أسباب وهى:

١- كما قلنا أن **كل أقنوم كائن ومستقر في الأقنومين الآخرين** وفقًا لإعلان السيد المسيح (أنا في الآب والآب فيّ) وهذا ما يعرف **بالاحتواء المتبادل بين أقانيم الثالوث** περιχώρησις [٦٤]

٢- وحدة الجوهر الإلهي، **فالثلاثة أقانيم لهم نفس الجوهر الوحيد** οὐσία ونفس الطبيعة φύσις.

---

[٦٤] هو تعبير يصف علاقة الكينونة المتبادلة بين أقانيم الثالوث وهو تعبير أُستخدِم في القرن الثالث في إطار الخريستولوجي، غير أنه قد أُستخدِم فيما بعد في ما يخص التعاليم عن الثالوث، وذلك في القرن السابع في الأعمال المنسوبة للقديس كيرلس Pseudo-Cyril، واستخدمها فيما بعد مكسيموس المُعترِف، وهو من معلمي الكنيسة البيزنطية في القرن السابع (أي بعد إنشقاق خلقدونية عام ٤٥١) ويعرف هذا التعبير بالانجليزية بـ *Perichoresis, circumincession*.

٣- وبالتالي **فالثلاثة أقانيم لهم نفس المشيئة والإرادة** θέλησις ومن ثم ينعدم تمامًا فكرة تعدد الآلهة طالما توجد مشيئة وحيدة.

٤- لا يمكن اعتبار الأقانيم أنها ثلاث آلهة لأنها **متحدة وغير منفصلة** فالابن والروح القدس يصدرا عن الآب ولكن بدون انفصال عنه.

٥- نحن نؤمن بإله واحد لأنه يوجد **علة واحدة في الثالوث ومصدر وحيد هو الآب** الذي يصدر عنه الأقنومين الآخرين بدون انفصال.

ما معني الولادة والانبثاق من الآب؟

الابن يولد من الآب **ولادة حقيقية**، وليست مجازية ولكنها بالطبع ليست جسدية، لأن الله روح وليس له جسد أبدًا وهذه الولادة **بدون انفصال وهي غير زمنية أي أنها أزلية**، وبالمثل الروح القدس ينبثق من الآب **بدون انفصال**، هنا نري أن الآب هو مصدر وأصل الألوهية، وإننا نُعرِف - الاقنومين الأخرين - في قانون الإيمان من خلال علاقتيهما بالآب، فالابن مولود من الآب قبل كل الدهور والروح القدس منبثق من الآب وفي نفس الوقت نؤكد على أن صدور هذين الأقنومين عن الآب لا علاقة له بالزمن نهائيًا، وأن هذا الصدور لا يُحدِث تغير في أقنوم الآب لأنه صدور أزلي ودائم بلا انقطاع.

ونشدد علي أن ولادة الابن من الآب هي **ولادة حقيقية وليست مجزية أو معنوية**، ولكن بكل تأكيد فهي **ليست ولادة جسدية** لأن

جوهر الله غير مادي، فالله روح بحسب إعلان السيد المسيح للمرأة السامرية، أي أن الله طبيعته روحية وليست جسدانية أو مادية حتي يمكن حصرها في مكان، فالولادة الجسدية هي خروج جسد من جسد، وهذه الولادة الجسدية تتصف بالانفصال والفرق الزمني بين وجود الوالد والمولود، بينما ولادة الابن من الآب ليست زمنية أي أنه لم يكن هناك وقت كان الآب موجودًا بدون الابن ولا يوجد في هذه الولادة انفصال، وفي نفس الوقت نشدد على أنها ولادة حقيقية وليست معنوية أو مجازية وذلك لأن الابن له وجود حقيقي، كما أنها ليست بنوة بالتبني أو النعمة وذلك لأن الابن جوهره هو من نفس جوهر الآب وليس شبيهًا للآب.

نفس الأمر نقوله عن الروح القدس أنه من ذات جوهر الآب وانبثاقه هو حقيقي وليس مجازي أو معنوي، وهذا الانبثاق ليس جسدي، أو زمني، فلم يكن هناك وقت كان الآب موجودًا بدون الروح القدس أو الابن.

عقيدة الثالوث والكتاب المقدس

الحديث عن الثالوث هو أمر واضح من الكتب المقدسة ويظهر جليًا علاقة الآب بالابن وبالروح القدس في العهد الجديد وبالأخص في الإنجيل للقديس يوحنا حيث نجد نصوص كثيرة تتحدث عن علاقة الابن بالآب وكيف يُظهر الابن ذاته أنه من عند الآب خرج وأن الآب أرسله وأنه وحده الذي يعرف الآب. ويتضح بما لا يدع مجال للشك أن الابن يقدم نفسه ليس بصفته إله جديد أو مغاير عن يهوه، بل يؤكد على وحدة الجوهر الإلهي بينه وبين الآب وأن تجسده وإرساليته في

التاريخ البشري هي من الآب الحال فيه، كذلك فإن الروح القدس بحسب اللاهوت منبثق من الآب وبحسب التدبير مُرسل بواسطة الآب والآبن. (أنظر إنجيل يوحنا الاصحاح ١٤).

الإيمان بالثالوث والعماد

ولو نظرنا للأناجيل الأخرى غير إنجيل يوحنا، نجد أن السيد المسيح يصرح بكل وضوح عن عقيدة الثالوث في حديث للتلاميذ ووصيته له بأن يعمدوا "*وَعَمِّدُوهُم بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ*."[٦٥] - ونلاحظ هنا المساواة الكاملة بينهما كما يؤكد أن الثالوث له اسم واحد وليس ثلاث أسماء وهذا دليل علي وحدة اللاهوت في الثالوث. الأمر المهم هو أن هذه الصياغة التي تفوه بها رب المجد بفمه هي أول قانون إيمان مسيحي وأول صياغة إيمانية على أساسها يتم التعميد. فمن المعروف حتي لغير المسيحيين، أن العماد هو أساس الإيمان المسيحي، ومن ثم فإن تلاوة صيغة إيمانية محددة أمر لا مفر منه لأي شخص يرغب في الدخول في الإيمان المسيحي. هنا تكون عبارة السيد المسيح ليست مجرد عبارة من جملة تعاليمه إنما هي إعلان واضح وصريح عن الاعتقاد المسيحي عن الله الذي ينبغي أن ينال أي انسان على أساسه سر العماد وأن هذا الإعلان خرج من فم الرب نفسه.

---

[٦٥] مت ٢٨: ١٩

الكتاب المقدس والاصطلاحات اللاهوتية

ومن ثم فإن الإعتقاد بالثالوث ليس من إنسان أو عقيدة استحدثت لاحقًا في الإيمان المسيحي خلال التاريخ الكنسي، كما يحاول البعض الدعاء. والسبب في هذا الادعاء الباطل هو أن لفظ "ثالوث" Τριάς لم يرد في الكتب المقدسة وهنا نحاول أن نوضح أن عدم ذكر الاصطلاح لا يعني انكار العقيدة، فشرح العقيدة والمفردات التي استخدمت في التعبير عنها مر بمراحل في التاريخ وهو ما يعرف بعلم تاريخ العقيدة ولكن هذا لا يعني استحداث العقيدة ذاتها لأن حضور الآب والابن والروح القدس في الكتب المقدسة أمر لا يقبل الجدل، ولكن الاصطلاحات أمر اخر وبالمثل يمكننا القول عن باقي التعبيرات اللاهوتية مثل طبيعة، أقنوم، أموؤسيوس (أي من نفس الجوهر) أو تعبير ثيوتوكوس (أي والدة الإله) فيما يخص التعليم عن التجسد الإلهي الخ فهذه الاصطلاحات قدمها آباء الكنيسة لشرح وصياغة عقيدة الكنيسة بكل وضوح في مواجهة الفلاسفة الذين استخدموا اصطلاحات أو مفاهيم هرطوقية، فكان لابد لآباء الكنيسة تقديم محتوى الإيمان بمفرادات فلسفية مفهومة في الحضارة اليونانية في ذلك الوقت كضرورة لتوضيح الإيمان في مواجهة الهراطقة.

فتعبير أقنوم او شخص لتعبير عن الآب والابن والروح القدس ظهر في تاريخ شرح العقيدة كضرورة ملحة لتفسير الإيمان المسيحي بشكل يقبله العقل لمواجهة الهراطقات التي ظهرت علي أرضية فلسفية ومهما كانت هذه الاصطلاحات سواء كانت بأصولها اليونانية أو معربة فهي تبقي عاجزة عن شرح سر اللاهوت. فيري الآباء

القديسون أن الله لا يمكن أن تعبر عنه لغة بشرية وهذا هو السبب في أن الكتب المقدسة لم تقدم لنا مثل تلك الاصطلاحات، حيث نجد أن التعبير مهما كان فهو اصطلاح بشري يمكن أن يساء نفهمه. وقد تطور استخدام المفرادات تبعًا للظروف ووفقًا للمعني الاصطلاحي لها، ولكن الإيمان لا يتغير.

إعلان الله عن ذاته من خلال أفعاله - الله لا يمكن ادراكه من جهة جوهره بل من أفعاله

فالكتاب المقدس لم يقدم أبحاث لاهوتية عن الثالوث، وذلك لأن الحديث عن الله في الكتاب المقدس، لا يقدم شرح لطبيعة الله من جهة جوهره، وذلك لأن اللغة عاجزة عن وصف الله، وهذا ما يعرف **باللاهوت السلبي** أي أننا لا نستطيع أن نقول أن الله يكون كذا وكذا، ولكن أن نقول أن الله ليس كذا، مثل انه غير محدود، غير موصوف، غير مبتدئ، لا نهائي، الخ، لذلك فالكتاب المقدس يقدم لنا أفعال الله تجاه الإنسان، فمنذ آية الأولى لسفر التكوين يظهر الله كحقيقة لا تقبل الجدل، وهم الكاتب هو إظهار أعمال الله وليس تقديم ابحاث عن جوهر، وبالمثل في العهد الجديد، نجد الحديث هو عن أفعال الثالوث تجاه الإنسان، وليس شرح لجوهر الله، لأن الله لا يمكن أدراكه من جهة جوهر ولكن يمكن أدراكه من جهة افعال محبته تجاه الإنسان. وعلى هذا الأساس لو نظرنا إلي قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني، نجده يشرح لنا اشخاص الثالوث من جهة افعاله تجاه الإنسان. ولا يشرح لنا ماهية جوهر الله.

ما معني كلمة أقنوم ؟

لم يرد في الكتاب المقدس تعريف أو توصيف للآب والابن والروح القدس بكلمة أقنوم، فلا ذكر في الكتاب عن كلمة "أقنوم" بمعناه الاصطلاحي المتعارف عليه، كما لم يرد لفظ ثالوث في الكتاب المقدس، ولكن ورد حديث واضح عن الابن وعلاقته بالآب كذلك حديث عن الروح القدس وعلاقته بالآب.

كلمة أقنوم ليست كلمة عربية بل سريانية وتعني "شخص" وقد تم إستعارتها من السريانية، حتي تعبر عن الكلمة اليونانية "هيبوستاسيس = ὑπόστασις" ، صعبة الترجمة وكلمة هيبوستاسس يمكن تحليلها لغويًا بمعني ما يقوم عليه الشئ أو "القائم بذاته" وهي تعني شخصًا أو كيانًا (أو جوهر أيضا) غير أنها لم تترجم للعربية بكلمة شخص وذلك لأنه توجد كلمة أخرى يونانية تقابل كلمة شخص هي " بروسبون = πρόσωπον " ومنها قد أتت الكلمة الانجليزية Person، كذلك نجد أن اللاهوتيين العرب في العصر الحديث قد تحاشوا استخدام تعبير شخص حيث أن اللفظة العربية يمكن أن تعني "فرد" ونحن لا نعتقد بأن الله ثلاثة أفراد مستقلة، بينما تعبير شخص باليونانية " بروسبون = πρόσωπον " يعطي معني الشركة مع آخر حيث أن اللفظ في أصله يعني "نحو من له هيئة" أي شخص أخر أي أنه الشخص الذي لا يوجد إلا في حالة شركة مع شخص أخر. ونلاحظ أن هذا التعبير اليوناني " بروسبون" قد استخدمه سابيليوس الهرطوقي – الذي أنكر الثالوث وقال أنهم أقنوم واحد ، اي أنه أدعى أن الاقانيم ما هي وإلا ثلاث ظهورات لنفس

الشخص- وذلك لأن نفس الكلمة " بروسبون = πρόσωπον " تعني أيضا وجه أو قناع "mask" وكانت تطلق على القناع الذي يرتديه الممثل في المسرح الاغريقي ليمثل به عدة شخصيات مسرحية، وبالتالي فقد تحاشت الكنيسة وقتها استخدام هذا التعبير، وفضلت تعبير هيبوستاسس والذي نترجمه بكلمة أقنوم السريانية هو يعني أيضا شخص.

غير أن كلمة "هيبوستاسيس" يمكن تعني أيضا "جوهر" وهنا تكون اشكالية حيث أن الله واحد من جهة الجوهر ولكنه ثالوث من جهة الأقانيم (الأشخاص)، وقد مر تعبير هيبوستاسيس بمراحل في استخدامه الاصطلاحي كجوهر ثم كشخص فمثلا في مجمع نيقية استخدم في قانون الايمان في الجزء الأخير الذي يحرم فيه تعليم اريوس بمعني جوهر حيث يقول الآباء عن الابن أنه ليس من هيبوستاسيس غريب، هنا تترجم عبارة هيبوستاسس بمعني جوهر ولا يمكن أن تترجم بمعني أقنوم، ونلاحظ هنا أمرين:

١ – عجز اللغة في التعبير عن الله.

٢- التعبير اللاهوتي يمر بمراحل حتي يستقر استخدامه وهو ما يعرف بالمعني الاصطلاحي للفظ معين.

هل تم استحداث الثالوث بالانتخابات في المجامع المسكونية؟ أي أن المسيحيين قرروا تعين الابن إلهًا بالانتخابات عن طريق الاقتراع في مجمع نيقية، ثم حالف الحظ أيضا الروح القدس حيث نجح في الاقتراع الذي تم على ألوهيته في مجمع

القسطنطينية؟

هنا يظهر سوء الفهم لأن المجامع المسكونية لم يكن هدفها شرح الإيمان أو الانجيل، بل التأكيد على الحفاظ على وديعة الإيمان من أسلافهم، فالآباء كان هَمَهُم دائمًا أن يظهروا كحراس على الإيمان وليس مفسرين للكتاب فيما يتعلق بعقيد الكنيسة التي صاغوها في المجامع المسكونية، وهذا ما شدد عليه الآباء في أنهم حفظوا وديعة الإيمان كما يؤكد القديس أثناسيوس في دفاعه عن قانون مجمع نيقية، حيث يلجأ للأباء السابقين ويقدم اقتباسات من ٦ اسماء شهيرة لآباء ومعلمين سابقين هم: ثيؤغنسطُس، دِيونيسيوس السكندري، ديونيسيوس الروماني، أوريجانوس، ليؤكد ان صياغة مجمع نيقية لتعبير هموؤسيوس = **ὁμοούσιος** ليست من ابتكار المجمع.

ألوهية الابن

ظهرت الهرطقات التي أنكرت ألوهية السيد المسيح، وكان ذلك بسبب عدم قبولها لسر التجسد الإلهي ورفض فكرة أن يصير الله انسان، وهو أمر يرجع لاحتقار قيمة الإنسان أكثر منه رفض شخص السيد المسيح نفسه، وقد حاول أريوس انكار الوهية السيد المسيح معتمدًا على تفسير خاطئ لآيات الإنجيل التي تعبر عن بشرية السيد المسيح، واعتماد على أعلانات السيد المسيح أنه لا يفعل شئ من ذاته بل من الآب الذي أرساله.

وهنا يظهر سوء الفهم لأن السيد المسيح كان يصر على التأكيد أنه لا يقدم نفسه كإله جديد بخلاف يهوة بل أنه من عند الآب

خرج. فوحدة الارادة والفعل وبالتالي الجوهر بينه وبين الآب كانت الأساس التي بنى عليها تعاليمه اللاهوتية.

وقد أوضح القديس أثناسيوس أن أقوال الانجيل عن السيد يجب أن يتم تميزها فيما يخص بشرية السيد وهو ما سماه "حسب التدبير" وما يخص ألوهيته وهو ما سماه "حسب اللاهوت"

التدبير ويقصد به الخطة التي وضعها الله لاجل خلاص الإنسان وهي تتجلي في التجسد الألهي، فعندما يتحدث الكتاب أن السيد قد جاع أو عطش فهذا ما يخص التدبير لأجل خلاص الإنسان، وفي نفس الوقت فإن الكتاب يوضح لنا أيضا اقوال لا يمكن فهما خارج مفهومنا عن ألوهية السيد المسيح مثل قوله أنا والآب واحد الخ

هل كان أريوس موحدًا بالله بينما أثناسيوس هو الذي أخترع الثالوث وأله المسيح، كي يرضي الامبراطور الروماني الوثني الذي اراد دخول الايمان المسيحي بأفكار الشرك؟

هذا الكلام عار عن الصحة، لأن اريوس هو الذي وقع في الشرك بالله وليس أثناسيوس، كما أن علاقة اثناسيوس بقسطنطين كانت على اسواء حال، على عكس علاقة الهراطقة بالبلاط الامبراطوري وسوف نوضح الآتي:

أثناسيوس وأريوس كان كلاهما يعبد المسيح، كما يتضح من كتابات أريوس حيث كانت معه نفس نسخة الانجيل التي مع أثناسيوس، لذلك فإن أثناسيوس كان له اعتراضين جوهريين علي عقيدة أريوس وهما:

١- أريوس هو الذي كان مُشرِك بالله لأنه كان يعتقد أن المسيح له جوهر غريب عن جوهر الآب ومع ذلك كان يقدم العبادة للأثنين، وهذه كارثة حيث كان يعبد الأثنان، وهذا شرك واضح لأنها حسب اعتقاده لهما جوهرين مختلفين عن بعضهما.

٢- الكارثة الأخرى هي أن أريوس كان يعتقد أن جوهر الابن - الذي يعتقد أنه غريب عن جوهر الأب - **"مخلوق"** وهي مصيبة أخري أي أنه يعبد مخلوقًا بجوار الخالق الأزلي.

هنا نلاحظ أن القديس أثناسيوس بنى اعتقاده على اساسه عبادته وليس على أساس افكار فلسفية.

الروح القدس

الروح القدس شخص وليس مجرد قوة، فهو يقود الكنيسة، والروح القدس في الله ليس مثل الروح في الإنسان لأن الانسان مركب من نفس تهب الجسد حياة بينما الله غير مركب وليس له جسد حتى يهبه الروح القدس حياة، فعندما قال السيد للسامرية الله روح، لم يكن يقصد الروح القدس تحديدًا بل ببساطة كان يقصد أن الله ليس له هيئة بشرية تحده في مكان حتي يكون السجود له في مكان معين.

✠ ✠ ✠

أسئلة للمراجعة

١) هل يمكن مقارنة الكتاب المقدس بكتابات الآباء لكي نختار الأفضل فنتبعه؟

٢) هل الآباء معصومون من الخطأ؟ في أي شئ ينبغي لنا أن نتبع الآباء؟

٣) هل كل ما كتبه الآباء مفيد؟

٤) تكلم عن تحقيق كتابات الآباء

٥) تكلم عن ظاهرة الكتابات مجهولة المؤلف

٦) تكلم عن ظاهرة الكتابات ذات الأسماء المزيفة

٧) ما هي الشروط الأربعة لتحديد الآباء في الغرب؟

٨) تحدث عن أهمية تحليل الخدام، والفرق بينه ومجمع القديسين في القداس.

٩) ما هو موقف الكنيسة الأرثوذكسية من موضوع القدمية؟

١٠) أذكر ثلاثة من الآباء الذين كتبوا باللاتينية.

١١) أذكر أثنين من الذين كتبوا باللغة السريانية.

١٢) أذكر ثلاث أعمال ترجع لعصر الآباء الرسوليين.

١٣) أذكر أثنين من الآباء المدافعين.

١٤) أذكر أثنتين من كتابات القديس أثناسيوس.

١٥) ما هو الفرق بين مدرسة اسكندرية ومدرسة أنطاكية من جهة التفسير؟

١٦) أذكر أسماء أشهر المفسرين في مدرسة اسكندرية؟

١٧) لماذا فضل أوريجانوس تفسير العهد القديم بشكل رمزي ؟

١٨) لمــاذا نصــر علــى وحدانيــة الله علــى الــرغم مــن أننــا نــؤمن بالثالوث؟

١٩) أشرح معني كلمة أقنوم.

٢٠) ما هي أخطاء أريوس العقيدية التي رفضها القديس أثناسيوس؟

٢١) ماهي خصائص الولادة والإنبثاق من الآب؟

٢٢) اشرح مفهوم العقوبة عند القديس يوحنا ذهبي الفم.

٢٣) ما هو علم الأجيولوجيا؟

***

فلتقتنع قداستكم، ولا تدع أحداً من الآخرين، يشك في أننا نتبع تعاليم الآباء القديسين من كل وجه، وخاصة أبينا المبارك والمجيد جداً اثناسيوس، طالبين باجتهاد أن لا نبتعد عنه في أي شيء على الإطلاق. وكنت أود أن أضيف أيضاً اقتباسات كثيرة من الآباء لأعطي ثقة في كلماتي الخاصة من كلماتهم لولا أن خفت أن تؤدي هذه (الاقتباسات) إلى أن تطول رسالتي وتصير بذلك مملة. ونحن لا نسمح بأي صورة من الصور لأي شخص أن يهز الايمان المحدد، أي قانون الايمان المحدد بواسطة الآباء القديسين الذين اجتمعوا في نيقيا في الأزمنة الحرجة. وبكل تأكيد أيضاً، اننا لا نسمح سواء لأنفسنا أو لآخرين أن تتغير كلمة فيه أو أن يحذف منه مقطع واحد، متذكرين الذي قال: "لا تنقل التخم القديم الذي وضعه آباؤك"

القديس كيرلس الكبير